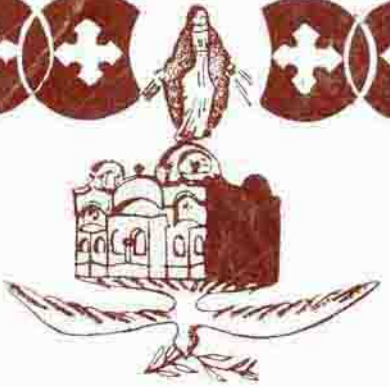

من سير القديسين

القديس العظيم

# مار أفرآم السرياني

قيثارة الروح

مشاهير الآباء

# سيرة وأقوال
# مارأفرآم السريانى
## قيثارة الروح

الراهب القمص
**سمعان السريانى**

الكتاب : سيرة وأقوال مارأفرآم السريانى قيثارة الروح .
المؤلف : الراهب القمص سمعان السريانى .
الطبعة : الأولى يونيو ١٩٨٨م .
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) - العباسية .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٨٨/٣٣٥٨ .

القديس مار أفرآم السريانى
عن صورة قديمة بمكتبة دير العذراء السريان

قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وسائر أقاليم الكرازة المرقسية

(ال ١١٧)

# إهـــداء

إلى العظيم فى القديسين قيثارة الروح القديس مارأفرآم يا من تركت العالم منذ ستة عشر قرناً إلى الحياة الأبدية، بعد أن جاهدت الجهاد الحسن وأكملت السعى وحفظت الإيمان، وأخيراً وضع لك إكليل البر (٢تى٤ : ٧).

يا من كنت دائم التبكيت لنفسك على خطاياك بدموع كثيرة، يا من كنت مثالاً لإنكار الذات والاتضاع، والصبر والاحتمال، والدفاع عن الإيمان المستقيم الذى للأرثوذكسية.

إليك أهدى هذا القليل من الكثير الذى لك، يا من تركت لنا أقوالك الثمينة، فكنت ومازلت سراجاً يضىء لكثيرين.

بل وأهدى هذا إلى آبائى وأخوتى، وإلى كل من يتوق إلى حياة القديسين.

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين.

# مقدمة الطبعة الأولى

لنتقدم أولاً بالشكر لربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح إذ فى كل زمان وفى كل مكان نَشتَم من آبائنا القديسين رائحة جهادهم الروحى الذى بمثابة بخور طيب، ومثل منار يضىء للآخرين. فالصديق كالنخلة يزهو، وكمثل أرز لبنان ينمو (مز٩٢: ١٢).

شهية جداً هى أخبار القديسين الذى سكنوا الجبال والمغاير وشقوق الأرض محبة فى الملك المسيح.

قد سبق أن تفضلت التربية الكنسية بكنيسة السيدة العذراء بالزيتون فاهتمت بنشر أقوال القديس مارأفرآم السريانى عن التوبة، وإذ أقواله لها الطابع الروحى

العميق فقد تساءل البعض عن سيرته ، وشاءت إرادة الرب أن يكون هذا فى ذكرى نياحته (١٥ أبيب) إذ قد مضى إلى فردوس النعيم منذ أكثر من ستة عشر قرناً حيث النياح الأبدى عام ٣٧٣م ، وما زالت طلباته لأجلنا نحن الغرباء فى هذه الحياة التى مصيرها الانتهاء أن آجلا أو عاجلا .

ها هو القليل عن سيرة هذا القديس إذ كان يعيش حياة التوبة وتبكيت الذات ، لم تفارقه الدموع كما يشير إلى ذلك القديس اغريغوريوس أسقف نيصص فى مديحه له قائلاً : إن أفرآم كان فى ذرف الدموع ومداومتها بصورة الإنسان الذى لا يمكنه أن يعيش بدون التنفس . بالإضافة إلى أقواله وأناشيده ذات المعنى الروحى العميق لذا يلقب « بقيثارة الروح » وحيثما نقرأ عن فضائل القديسين يجب أن نماثلهم فنعمل ونسلك طريقهم ليكون لنا معهم ميراث فى الحياة الأبدية « عاملين بالكلمة لا سامعين فقط » (يع ١ : ٢٢) بشفاعة سيدتنا والدة الإله القديسة مريم وطلبات أبينا القديس مارأفرآم وجميع آبائنا القديسين الذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة .

وصلوات أبينا الطوباوى صاحب القداسة والغبطة البابا شنوده الثالث ، وأبينا الطوباوى نيافة الأنبا ثاؤفيلس أسقف دير السريان العامر . كما أقدم الشكر الجزيل لكل من له تعب معنا فى هذا الكتيب ــ ولإلهنا كل مجد وإكرام إلى الأبد آمين .

برية شيهيت المقدسة
١٥ أبيب ١٦٩١ش
٢٢ يوليو ١٩٧٥م
تذكار نياحة القديس أفرآم السريانى

أحد رهبان
دير السيدة العذراء ـ السريان

# مقدمة الطبعة الثانية

**«أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله» (١يو٣: ١)**

نشكر إلهنا الصالح الذى وهبنا صفة البنوة له.. بل ومازال لا يكف عن مناجاة نفوسنا فى كل حين قائلاً: «ها أنت جميلة يا حبيبتى..» (نش ٤: ١).

ولن يشوه تلك النفس الجميلة الخالدة التى لها صورة الله سوى الخطية!.. لكن لكثرة تحننه بعد أن تمم خلاصنا بنفسه على الصليب أعطانا علاجاً شافياً لموت الخطية.. إنه «سر التوبة» الذى له الأهمية الكبرى لحياة كل مؤمن بل ويسبق أى سر من أسرار الكنيسة السبعة.. كما أكد السيد المسيح له المجد بضرورة ممارسته على رجال الكهنوت إذ قال لهم: «اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت» (يو٢٠: ٢٢، ٢٣).

كما يصفها الآباء بأنها معمودية ثانية، ولادة جديدة أم الحياة... إلخ.

إن آباؤنا القديسون تركوا لنا درراً ثمينة نتيجة لخبراتهم الروحية العميقة بعد أن تركوا العالم وعاشوا حياة التوبة الحقيقية لأجل خلاص نفوسهم..

ومنذ أكثر من إحدى عشر عاماً تفضلت كنيسة السيدة العذراء بالزيتون فنشرت لنا سيرة القديس مارأفرآم السريانى ثم أقواله عن التوبة والآن نقدمها لك فى كتاب واحد، فى طبعة مزيدة وأضفنا أقواله فى الحياة الروحية.

ليعطنا الرب حياة التوبة المستمرة قارعين صدرنا فى انسحاق تام كالعشار «اللهم ارحمنى أنا الخاطىء» (لو١٨: ٣).

ولنسرع إليه دون تأجيل كالابن الشاطر فيقبلنا إليه بفرح قائلاً «ابنى هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد» (لو١٥: ٣٢) بشفاعة أمنا كلنا والدة الإله العذراء القديسة مريم وجميع السمائيين وطلبات القديس مارأفرآم السريانى وجميع آبائنا القديسين.

بصلوات أبينا الطوباوي قداسة البابا شنوده الثالث وشريكه في الخدمة الرسولية نيافة الأنبا ثاؤفيلس أسقف دير السريان ونقدم الشكر الجزيل لكل من له تعب معنا في نشر هذا الكتاب الرب يعطهم أجراً سمائياً في ملكوته .

ولإلهنا كل مجد وإكرام إلى الأبد آمين .

برية شيهيت
١٥ أبيب ١٧٠٣ش
٢٢ يوليو ١٩٨٧م
تذكار نياحة مارأفرآم السرياني

الراهب القمص
**سمعان السرياني**

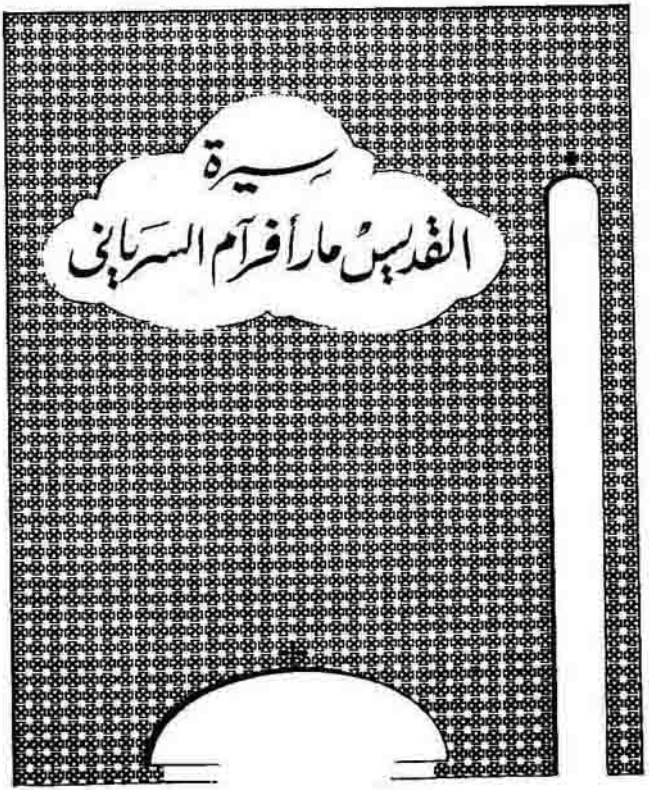
سيرة
القديس مار أفرآم السرياني

+ القديس أفرآم السريانى هو ذلك الناسك، العابد، رجل الإيمان والصلاة والدموع، إنه الكاتب الشهير، المعلم الروحانى، وقد لقب بقيثارة الروح، المعلم نبى السريان إنه من مشاهير آباء الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة الرسولية.

+ أفرآم يلقب أيضاً أفريم، وأفرايم وهو كلمة عبرية معناها «الأثمار المضاعفة» (١).

+ تذكره الكنيسة القبطية فى مجمع القداس الإلهى: وأبانا أنبا برسوما، وأفرآم، ومارونا السريان (٢) كما تذكره أيضاً فى مجمع القديسين بالتسبحة اليومية بما معناه عربياً (٣) اطلبوا .. يا أنبا برسوما وأفريم، و يوحنا، وسمعان ليغفر لنا خطايانا.

+ ولد بمدينة نصيبين قبل حكم قسطنطين الكبير [٣٠٦- ٣٣٧م] فهو أصلاً سريانى من بلاد سوريا، كما تفيد بعض المصادر أنه كان قصير القامة.

ولد من أبوين مسيحيين، ونشأ نشأة صالحة لذا يقول: علمت عن المسيح مبكراً بواسطة والدىّ اللذان ولدانى حسب الجسد ودربانى فى مخافة الرب (٤)!

## روحانيته:

كان متواضعاً رغم نبوغه وعبقريته، منكراً لذاته، يهرب من المجد الباطل. وقد حاول القديس باسيليوس الكبير أن يرسمه قساً لكنه اعتذر فى اتضاع ومسكنة متعللاً بكثرة خطاياه!

+ كان محباً للمسكنة الروحية، ورجل الدموع كما يقول عنه القديس اغريغوريوس أسقف نيصص «كما أن التنفس ضرورى للإنسان بل وظاهرة طبيعية فى كل البشر، كذلك كانت الدموع بالنسبة لمارأفرآم، فلم يحدث أن شوهدت عيناه فى لحظة ما غير

(١) قاموس الكتاب المقدس جـ ١ ص ٩٠.

(٢) خولاجى الثلاثة قداسات للقمص عبد المسيح المسعودى ١٩٠٢م ص ٣٦٠.

(٣) الأبصلمودية السنوية.

(٤) التربية فى الصغر تشبه بذرة إن تعهدها الزارع تصبح شجرة ضخمة تأتى بثمار كثيرة.

ممتلئة دموعاً على خطاياه، كما نقرأ ذلك فى الكثير من ميامره (*) » !

+ كان وديعاً عاش عيشة التجرد والزهد فى القنية، حتى أنه لم يكن له ما يعطيه، لكن كان يتمم فضيلة الرحمة بمواعظه التى طالما فتحت خزائن الأغنياء !.

+ كان دائم الصلوات والأصوام بل وكان فى سهر روحى و يقظة مستمرة ولذا أكمل السيرة الملائكية بجهاده المتواصل طيلة حياته.

+ تتلمذ فى سن مبكر للقديس مار يعقوب أسقف نصيبين، فأحبه وأبقاه معه وجعله معلماً لمدينة نصيبين معه.

وقيل إنه عندما توجه القديس مار يعقوب إلى مدينة نيقية لحضور المجمع المسكونى الأول سنة ٣١٥ صحبه معه. هذا وقد عاصر الأساقفة الثلاثة الذين خلفوا مار يعقوب، وسرعان ما حاز شهرة واسعة لغزارة علمه الروحانى، وغيرته على العقيدة الأرثوذكسية، وورعه النسكى.

## إحتماله وصبره الكثير:

تعرض القديس مارأفرآم لتجارب كثيرة، فكان مثال الاحتمال والصبر، والوداعة. ونورد هنا أهم التجارب التى جاز بها فى بلدة نصيبين بإيجاز:

حسده الشيطان على نموه الروحى، ومحبة الجميع له. فقد كان خادم الكنيسة الذى يدعى أفرآم أيضاً قد أفسد عذراوية بنت أحد رؤساء المدينة، ولقنها أن تقول متى كشف أمرها أن القديس مارأفرآم هو الذى أخطأ معها.

فلما كشف أمرها أسرع والدها إلى مار يعقوب الأسقف فأحضر القديس ووبخه أما هو فلم يدافع عن نفسه، بل قال فى تذلل يا أبى إغفر لى !

ولما وضعت الصبية ثمرة خطيتها، حمله والدها للأسقف، فأحضر الأسقف القديس مارأفرآم وقال فى تذلل وانسحاق « أخطأت يا أبى أسأل أن تغفر لى »، وأيضاً كان يبكي و يقول للشعب اطلبوا عنى يا أخوتى لكى يغفر لى الرب ! فدهش الشعب

(*) عن ميمر الميلاد المجيد سنة ١٩٦١ للقديس مارأفرآم - طبعة دير السريان.

لهذا كثيراً (٦).

وبعد أيام رأى أن الشعب كله قد أعثر بسببه، فبعد القداس الإلهى طلب القديس إلى الأسقف أن يسمح لذ بالصعود إلى الأمفون (٧) Amvon بالكنيسة، فصرح له، وللحال رفع الأنبا أفرآم الطفل بيمينه إلى المذبح، وصرخ بصوت عال وقال للطفل «أناشدك أمام مذبح الله الحى، قل الحق من هو أبوك ؟».

فللحال فتح الطفل (٨) فاه وقال: أفرآم خادم الكنيسة !!

فتعجب الأسقف والشعب، وكانوا يبكون و يطلبون أن يغفر لهم، ثم مات الطفل لوقته فى تلك الساعة !

## حياته فى مدينة الرها :

لقد حاصر الفرس نصيبين ثلاث مرات فى الفترة من ٢٣٨- ٣٥٠م وأخيراً سلمت لهم نهائياً بموجب معاهدة صلح عقدت بين سابور ملك الفرس، والامبراطور البيزنطى جوفيان عقب هزيمة الامبراطور السابق لجوفيان، فلما آلت نصيبين إلى الفرس هجرها سكانها المسيحيين، وهكذا مارأفرآم استقر أخيراً فى الرها التى غدت فى ذلك الوقت مدينة التعليم الأولى فى سوريا وكان ذلك حوالى عام ٣٦٣م.

وفى طريقه من نصيبين إلى الرها طلب إلى الله أن يرشده و يدبر حياته المقبلة، وعند اقترابه من المدينة صلى إلى الله أن يرسل له من ينتفع منه بكلمة، فكان أول من قابله هو امرأة شريرة، ولما لاحظ أنها تحدق إليه بشدة، قال لها أيتها المرأة أما تستحين أن تتفرسى فىَّ هكذا ؟ فأجابت قائلة إن المرأة أخذت من الرجل فيحق لها أن تتفرس فى أصلها الذى أخذت منه، أما الرجل فقد أخذ من التراب فينبغى له أن يتفرس فى أصله الذى أخذ منه، فشكر القديس مارأفرآم الله، لأنه تعلم شيئاً نافعاً له، حتى من

(٦) عن مجلة الكرازة سنة ١٩٦٦م عدد ١.

(٧) كلمة يونانية وهو عبارة عن مكان مرتفع بالكنيسة يصعد إليه بعدة درجات و يستخدم كمنبر للوعظ.

(٨) كان الطفل رضيعاً لا يتكلم، لكن نطق ليظهر الله براءة قديسه.

هذه المرأة الشريرة (٩) .

+ التحق مارأفرآم بعمل متواضع فى تلك المدينة فاشتغل حارس لحمام من الحمامات العامة التى كانت منتشرة آنذاك ، كما قيل إنه اشتغل عاملاً أجيراً عند أحد الناس إذ لم يكن يعرف صناعة خاصة فى تلك الفترة ، وكان باقى وقته يقضيه فى تبشير الوثنيين وتعليمهم الكتب المقدسة ، إذ كان عددهم كبيراً فى تلك المدينة .

+ فى مدينة الرها تعرض القديس لتجربة أخرى (١٠) .

كانت تسكن فى مسكن مقابله امرأة حرك الشيطان قلبها بفكر شرير نحوه ، فقابلته ذات مرة وسألته إن كان محتاجاً لشىء فأجابها إنى أحتاج بعض من الطوب وقليل من الطين لأسد الطاقة التى بينى وبينك ، وغضبت المرأة من تلك الإجابة الجافة ، وتوعدته بالتشهير إن لم يطاوعها و يفعل معها الشر ، فتظاهر القديس بالموافقة على شرط أن تتمم فعلتها هذه فى سوق المدينة ، فندهشت المرأة وقالت له كيف نفعل هذا الأمر والناس حولنا . فأجابها : « إن كنت تستحين من الناس أفما تستحين من الله الذى عيناه تخترقان أستار الظلام » ؟!

لقد كان كلام القديس مارأفرآم قوياً مؤثراً حتى أنه نفذ إلى أعماقها ، وكانت النتيجة أن تلك المرأة ، تابت واعتزلت العالم وترهبت فى دير للراهبات .

## مارأفرآم المتوحد :

لم يستمر القديس مارأفرآم فى عمله هذا طويلاً ، بل التصق بأحد المتوحدين بإحدى مغاير جبل الرها وهو جبل فى شمال شرقى سورية ، يعرف الآن باسم نمرود داغ ، وهناك عاش فى ذلك الجبل الذى كان يسكنه نساك كثيرون ، وعكف فى وحدته على ملازمة الصوم والصلاة ، ودراسة الكتب المقدسة .

---

(٩) اتضاع القديس هو الذى جعله يستفيد من كل ما يقابله .

(١٠) لقد كان حاملاً الصليب دائماً ليتبع المسيح كما يقول إنجيل القداس ١٥ أبيب (تذكاره) « من لا يحمل صليبه و يأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً » ( لو١٤ : ٢٧ ) .

## دعوته للخدمة وإنكار ذاته :

فى القرن الرابع كانت شمس المسيحية ماتزال ترسل أشعتها لتبدد ظلمة الوثنية فقد كان هناك صراع بين المسيحية والوثنية ، وفى ذلك القرن أيضاً انتشر الإيمان القويم ، وانتصرت المسيحية وثبت إيمانها بمجامع مسكونية .

ولقد كانت الدعوة الإلهية لمارأفرآم أن يترك خلوته إلى حين ، ليساهم فى تلك المعركة سواء مع الوثنيين أو مع الهراطقة . لقد كان مبدأ هذه الدعوة رؤيا رآها ذاك المتوحد إذ كان ذلك المتوحد واقفاً فى نصف الليل خارج مغارته بالجبل بعد أن فرغ من الصلاة والتسبحة ؛ فرأى ملاكاً يهبط من السماء ؛ ويحمل بين يديه درجاً كبيراً مكتوباً على وجهيه ؛ ويحيط به بعض ملائكة وسمعه يقول لمن حوله : لمن أعطى هذا الذى بيدى ؟ فأجابوا : إلى أوكين المتوحد بصحراء مصر ؛ ثم عاد وسأل أيضاً فأجابوا : يوليانوس المتوحد . فقال الملاك ليس أحد يستحقه سوى أفرآم السريانى الذى بجبل الرها !

لما سمع ذلك الراهب المتوحد تلك الرؤيا لم يصدقها .. لكنه عاد وزار مارأفرآم فى مغارته مفتقداً إياه ، فوجده جالساً يكتب تفسيراً لسفر التكوين ، فلما قرأ تعجب لعظم الموهبة والحكمة التى أعطيت له من الله ، وأعقبه بتفسير سفر الخروج فتيقن صحة الرؤيا ، فأخذ منه المتوحد ذلك التفسير وأسرع يعرضه على علماء مدرسة الرها فتعجبوا وظنوا أن ذلك المتوحد سطره ، فأمسكوه يريدون تكريمه ، فعرفهم أنه ليس صاحب التفسير بل مارأفرآم ثم أخبرهم بالرؤيا . وقد حرك الله بعض المؤمنين بالمدينة ليحضروه من صومعته ، لكنه أحس بهم فهرب واختفى فى أحد الأديرة .

ظهر له ملاك الرب وقال له يا أفرآم إلى أين تهرب ؟ . فأجاب يا سيدى إننى أحب الجلوس فى الهدوء والهرب من سجن العالم ! فقال له الملاك أنظر أن لا يتم عليك قول القوم أن أفرآم قد هرب منى . فبكى مارأفرآم وقال : أنا ضعيف يا سيدى ولا أستحق هذا ... لكنه أخيراً أبطل اعتذاراته بكلمات المخلص « ليس أحد يوقد سراجاً ويضعه تحت المكيال لكن على المنارة فيضىء لجميع الذين فى البيت » (مت ٥ : ١٤) .

بعد هذا أخذ القديس يصلى إلى الله كثيراً طالباً منه العون والقوة لكى يناضل من أجل الإيمان المستقيم .

+ قام مارأفرآم ودخل مدينة الرها وفى الصباح خرج إلى شوارع المدينة ، فنظره بعض المؤمنين الذين صعدوا إليه ليحضروه من مغارته ولم يجدوه فاغتاظوا منه ، وأخذوا يتضاحكون عليه و يقولون تعالوا وانظروا هذا المرائى لقد هرب منا ، وهوذا قد جاء من تلقاء نفسه فإنه يحب المجد الباطل ... أما مارأفرآم فكان باتضاع عظيم يسجد لهم و يقول : اغفروا لى يا أخوتى أنا المسكين . أما هم فكانوا يزدادون صياحاً قائلين هلموا انظروا هذا المجنون الغبى .. ورغم هذا كله كان القديس يعبر المدينة و يعلم و يعظ وفى أحد الأيام شهد له راهب قديس كان نازلاً إلى المدينة يبيع عمل يديه ، فمضى خلفه وقال بالروح مشيراً إلى القديس مارأفرآم : هذا هو الرفش الذى فى يد الرب وبه سينقى بيدره . وكل زوان الهراطقة ، وما أن سمع بعض رؤساء المدينة والهراطقة والوثنيين واليهود هذا الكلام حتى ألقوا أيديهم عليه وأوسعوه ضرباً وإهانة .

بعدها عاد إلى وحدته وهناك فى مغارته كرس نفسه للكتابة لدحض الهراطقة والمعتقدات الخاطئة فتجمع حوله تلاميذ كثيرون ، وهكذا تكونت مدرسة فى الجبل وكان هو معلمها .

ونستطيع أن نقول فى إيجاز أنه كان يحيا حياة التوبة (١١) فى تبكيت دائم لنفسه ودموع كثيرة قائلاً فمن يعطى لرأسى مياهاً كثيرة ولعينى عيناً نابعة دائماً دموعاً ما دام لى وقت تنفع فيه العبرات فأبكى على نفسى النهار والليل .

## مارأفرآم يعيد الحياة إلى شاب :

لقد صنع القديس مارأفرآم الكثير من المعجزات نورد هنا واحدة منها : بينما كان القديس فى طريق عودته إلى الرها مر بإحدى بلادها ، وهناك التقى بأحد رؤساء المدينة وكان هرطوقياً مع جمع كبير من الشباب التابع له ، فبينما جلس القديس على قارعة الطريق ليأكل خبزه سخر منه هؤلاء الشباب ، وتقدم أحدهم ولطمه بشدة على وجهه ، فتلقى القديس ذلك الأذى فى صمت ، ولكن سرعان ما خرجت أفعى من تحت حجر

(١١) عن كتاب التوبة لقيثارة الروح مارأفرآم السريانى ص ٣٨ .

كان يجلس عليه ذلك الشاب ولدغته قمات لوقته ، فأسرع ذلك الرئيس ومعه الشباب أتباعه وراء القديس مارأفرآم وأدركوه فى قرية مجاورة لهم ؛ وإزاء توسلهم الكثير عاد معهم ، وبصلواته وطلباته لذلك الشاب عادت إليه الحياة .

كانت نتيجة تلك المعجزة أن رجع ذلك الجمع كله إلى الإيمان الأرثوذكسى فمجد القديس الله على ذلك .

## محبته للآخرين :

بعد أن هدأت ريح المراطقة فى الرها ، عاد مارأفرآم إلى خلوته فى جبل الرها ولم يترك خلوته هذه إلى أن اجتاحت مدينة الرها مجاعة شديدة فى شتاء عام ٣٧٢م فوجد مارأفرآم نفسه مدفوعاً بدافع الحب لأخوته ، بل وأخوة الرب الذين فى الرها . ترك خلوته ليخفف عنهم وطأة المجاعة ، وأخذ يحث الأغنياء أن يصنعوا رحمة ، وظل يوبخهم على قساوة قلوبهم ... فلما احتجوا بأنه لا يوجد من هو كفء وأمين للقيام بمهمة رعاية هؤلاء المحتاجين قدم نفسه للقيام بتلك المهمة ، فوافق الأغنياء وجعلوه متصرفاً فى هذا الأمر ، فاستحضر القديس مارأفرآم ثلثمائة سرير خدم بها مرضى تلك المجاعة فى الرها والبلاد المجاورة لها .

وكان يخدم المرضى بنفسه ، يساعده فى ذلك مجموعة من تلاميذه وبعد أن انقضى ومن هذه المجاعة عاد إلى خلوته فى الجبل ، تنيح بعدها بشهر .

## مارأفرآم الملفان السريانى :

ويعتبر مارأفرآم من صفوة الشعراء (١٢) المطبوعين أصحاب الإبداع المفتنين فى الشعر ، والكاتب المجيد ، وقد أوتى لساناً فصيحاً وبياناً ساحراً ...

وفوق ذلك يعتبر من علية الورعين القديسين ، وقد تمكن حب الله فى قلبه حتى بلغ منه كل مبلغ فنعت بتبى السريان وشمسهم وكنارة الروح الإلهى وصاحب الحكم ... وكان زاهداً متنسكاً ذا وقار وحلم وسكينة وأصالة وسجية جميلة .. ممتازاً فى فضائل

(١٢) عن كتاب اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية لمار أغناطيوس الأول بطريرك أنطاكية ص ٢٤٣- ٢٥٣ .

العفاف والتواضع والرحمة.. مغالياً فى حب الكنيسة والإيمان القويم، ناراً ملتهبة تحرق زوان الهراطقة المضللين، أستاذاً حاذقاً وجندياً أميناً على حراسة معقل الأرثوذكسية. وفى ٩ حزيران ٣٧٣م تنيح بسلام وقد ناهز السبعين وقد بنى فوق قبره دير بجوار الرها عرف بالدير السفلى.

ومن أبرز مصنفاته ميامره وقصائده المنظومة وأناشيده وهى عبارة عن ٧٧ نشيداً نظمها ما بين سنة ٣٥٠ وسنة ٣٧٠م.

## مارأفرآم بإسقيط مصر:

لقد تراءت له شهرة القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة الكبادوكية فى عزلته الأخيرة التى كان بها، فرأى أن عموداً من نار يصل إلى السماء، وسمع صوتاً يعلن له من السماء قائلاً: كما ترى عمود النار هذا هكذا باسيليوس العظيم.

وهكذا تشجع مارأفرآم وشد رحاله لنوال بركة القديس باسيليوس لكنه توجه أولاً إلى إسقيط مصر (برية شيهيت) الشهيرة بنساكها ومعلميها الحاذقين فى الخبرات الروحية إذ كانت وقتئذ زاخرة بآلاف الرهبان، حيث قضى ثمانى سنوات (١٣).

وهنا نستطيع أن نتذكر أهم مشاهير آباء برية شيهيت (ميزان القلوب) فى الفترة التى قضاها القديس، والذين ما زالت سيرة حياتهم مناراً عالياً للرهبنة والعالم بأجمعه:

القديس أثناسيوس الرسولى، القديس مقاريوس الكبير أب البرية، القديس مقاريوس الاسكندرانى، القديس بيشوى كوكب البرية، القديس يوحنا القصير، القديس بفنوتيوس الإسقيطى، القديس إيسيذورس القس، القديس موسى الأسود، القديس اسحق قس شيهيت، القديس اشعياء الاسقيطى.

## شجرة القديس مارأفرآم:

ما زال أثره باقياً حتى الآن ببرية شيهيت إذ توجد بدير السيدة العذراء (الشهير بدير السريان) شجرة ضخمة تعرف باسم شجرة القديس مارأفرآم السريانى وهذه

(١٣) The Writings of Nicene and Post Nicene Fathers vol 13

الشجرة قصة عجيبة (١٤).

فقيل إنه كان القديس يتوكأ على عكاز (عصا) من فرط النسك الذى أنهكه فظنه رهبان الإسقيط أنه يتظاهر متشبهاً بالشيوخ، فعرف بالروح ما كان يجول بخاطرهم وغرس عكازه هذا فى الأرض، فأراد الله إظهار بره وتقواه فنما هذا العكاز الجاف (١٥) وأزهر كعصا هرون قديماً، حتى أصبح شجرة ضخمة الآن، وهى من فصيلة التمر هندى و يشرب الكثير من زهرها وثمرها لنوال بركة قديسها البار.

## التقاؤه بالقديس باسيليوس :

بعد اكتساب القديس خبرات الرهبنة الكثيرة عن آباء اسقيط مصر بدأ يكمل رحلته إلى قيصرية الكبادوكية، وكان تواقاً أن يكون التقاؤه بالقديس باسيليوس فى عيد الظهور الإلهى (عيد الغطاس المجيد) وفعلاً وصل فى اليوم السابق للعيد، وكان ذلك نحو أوائل عام ٣٧١م، فدخل القديس مارأفرآم الكنيسة وكان القديس باسيليوس يرتدى ملابس رئيس الأساقفة الفاخرة، وحوله الكهنة بملابسهم الفاخرة أيضاً، وعندما رأى ذلك قال فى فكره إن هذا لا يمكن أن يكون عمود النار الذى أعلن لى فى الرؤيا! ووقت العظة وقف القديس باسيليوس يعظ الشعب وإذ بمارأفرآم يرى وكأن ألسنة نارية تخرج من فيه، وتستقر فى قلوب السامعين، فللوقت سرعان ما تغير فكره، وأظهر علامات الاستحسان لسماعه ولأنه لم يفهم اليونانية التى كان يتكلم بها القديس باسيليوس فقد كان برفقته تلميذ يترجم له ما يقال.

شعر القديس باسيليوس بالروح بوجود القديس مارأفرآم إذ رأى ملاكين على جانبيه.. وبعد التناول استدعاه فتقدم القديس بثوبه البسيط البالى صامتاً، مطرقاً بنظره إلى أسفل فنهض رئيس الأساقفة (باسيليوس) عن كرسيه واستقبله بقبلة أخوية، وأخذ رأسه أمام ذلك الراهب المتواضع وقال له هل أتيت لتزور إنساناً خاطئاً ؟.. الرب يكافئك عن عملك هذا ثم انفرد به وقال له لماذا شككت ؟ وكشف

(١٤) انظر ميمر الميلاد المجيد وسيرة مارأفرآم السريانى عام ١٩٦١ . دير السريان .

(١٥) لقد كانت عصا يابسة بينما المعروف علمياً لكى تنمو لابد أن تكون حية ذات براعم كما أنها منذ أكثر من ١٦ قرناً وما زالت بحيويتها وخضرتها .

له عن ملابسه ، وإذ به يلبس مسحاً من الداخل .. قائلاً له أما هذه الملابس الفاخرة الخارجية فهى من أجل كرامة الخدمة الكهنوتية فقط .

استغرقت زيارة مارأفرآم للقديس باسيليوس أسبوعين حاول خلالها أن يرسمه قساً لكنه اعتذر فى اتضاع ومسكنة متعللاً بكثرة خطاياه ، ويقول المؤرخ « سوزومين » فى هذا أن مارأفرآم لم ينل رتبة كهنوتية أكثر من رتبة شماس ، لكن ما بلغه من الفضيلة أعطاه شهرة مساوية لأولئك الذين قد نالوا أعلى درجات الكهنوت فى الكنيسة ، كما أن حياته المقدسة ، ونبوغه فى العلم جعله موضع إعجاب الجميع .

كما يقول أيضاً هذا المؤرخ لقد غدا باسيليوس من كبار المعجبين بأفرآم ونبوغه ، فلقد تأثر كثيراً بشخصيته وبكلامه وتعاليمه ، كما أورد ذلك فى بعض كتاباته التى كتبها عنه .

+ + +

## تعاليم وكتابات القديس مارأفرآم :

عاد القديس إلى مدينة الرها بعد تلك الفترة فوجد المدينة مغمورة بأصحاب هرطقات كثيرة .

كان أشهرها هرطقات « برديصان (١٦) السريانى » التى ظهرت عام ٢٠٠م . والتى ضمت طبقة كبيرة من أصحاب الثقافة والثراء . فبدأ مارأفرآم يكتب ضد هذه الكتابات أعطته شهرة واسعة فى عالم الأدب والشعر ، كما نظم أناشيد كثيرة تضمنت عقائد كنيسته الأرثوذكسية .

ودخل فى نقاش مع أصحاب هذه الهرطقات لردهم ، والعجيب أن تدفق هذه الينابيع الشافية من ذلك القديس كان سببها التعاليم الفاسدة التى لهؤلاء الهراطقة ، فقد وضع هرمونيوس بن برديصان فى تلك الهرطقات ١٥٠ نشيداً تناقس مزامير داود النبى ، كما أنه وضع لها أنغاماً جذابة جعلت أهل الرها يذهبون وراء وقعها الموسيقى !

(١٦) كان وثنياً ولد بالرها وقيل أنه أصبح مسيحياً ورسم قساً ولكنه استمر فى آرائه الفاسدة ولم ينثن عنها فحرمته الكنيسة ومات عام ٢٢٢ وخلفه ابنه الذى ناهضه مارأفرآم .

وللحال وضع القديس العظيم مارأفرآم ١٥٠ نشيداً على نسق ووزن وموسيقى أنشاد هرمونيوس، متضمنة العقائد المسيحية السليمة كما أنه أعد خورساً لتلك الأنشاد يرنمونها صباحاً ومساء كل يوم فى الكنيسة !..

وهكذا استطاعت تعاليمه المستقيمة بنعمة الروح القدس وبقوة الحق الذى ينطق منها، وجمال أسلوبها الأدبى، أن توقف تيار هرمونيوس وغيرها من هرطقات ذلك العصر التى كادت تكون سبباً فى غرق الكثيرين.

+ ويعتبر القديس مارأفرآم أكثر آباء الكنيسة السريانية صيتاً، وأشهر كتابها نثراً وشعراً.

+ ولقد نال من الله نعمة خاصة أعلنت له فى رؤيا ذكرها فى أواخر أيام حياته إذ وهو بعد صبى فى منامه، أبصر وقد خرج من لسانه غصن كرمة كبر شيئاً فشيئاً حتى ملأ كل ما تحت السماء، وحمل ثماراً كثيرة، وجاءت الطيور وأكلت من ثماره، وكانت الثمار تزداد أكثر فأكثر كلما أكلت منها الطيور. فهذه العناقيد هى الميامر والأوراق هى الأناشيد.. قد أعطاها له الله من كنوزه التى لا تفرغ.. فلنمجده على نعمته وموهبة مسرته.

+ وبعد ما تركه من كتاباته الكثيرة ما لا يقل عن ثلاثة ملايين سطراً وأهم ما تحتوى عليه كتاباته:

ـــ كتابات عن شرح الأسفار المقدسة، ومقالات ورسائل عديدة.

ـــ كتابات فى الأدب والشعر وتتضمن تعاليم كثيرة منها:

المدراش (١٧) وهى النظم الذى ينشد، الميامر أى القراءات العديدة فى مجالات مختلفة وهى تقرأ ولا تنشد.

+ وها هو اليسير عن ميمر (١٨) من ميامره الكثيرة يكتب فيه متأملاً ميلاد السيد

(١٧) مدراش جمعها مداريش وهى الأناشيد الأفرامية وكان عددها [٥٠٠] اللؤلؤ المنثور لمار أغناطيوس الأول ص ١١٥.

(١٨) عن ميمر الميلاد المجيد للقديس مارأفرآم ـ لدير السيدة العذراء (السريان) ١٩٦١م.

المسيح له المجد من السيدة العذراء والأم البتول فيقول :

أنت ولدت من البشرية جسدياً ، وهي ولدت منك روحياً . كل ما أتيت إلى الميلاد من أجله كان أن يولد الإنسان على شبهك ، فصار ميلادك سبباً لميلاد الكل !.

عندما تحطم أمل الإنسان ، ازداد الأمل بمولدك ... إن ميلادك صار لقاطعي الرجاء ينبوعاً يفيض بالرجاء .

يا لها من أعجوبة عظيمة إن الابن سكن كلية في جسد ، حل فيه وكان كافياً له سكن فيه ولكنه لم يحد ، كانت إرادته فيه كلية وحدوده وأصله إلى الآب ...

+ عجيبة هي أمك .؟! (١٩)

لا يستطيع أحد أن يعرف أمك أيها الرب !

هل يسميها عذراء ، وهوذا ابنها موجود ! هل يسميها متزوجة ؟ وهي لم يعرفها رجل فإن كان لا يوجد من يفهم أمك ، من يكون كفوءاً لفهمك أنت ؟!.

عجيبة هي أمك ؟!

الرب دخلها فأصبح عبداً ! الكلمة دخلها فصار صامتاً داخلها !

الرعد دخلها فهدأ صوته ! راعي الكل دخلها فصار فيها حملا !

إن بطن أمك قد غيرت أوضاع الأمور يا منظم الكل !

العالي دخلها فخرج وديعاً .. الغني دخلها فخرج فقيراً !

الضياء دخلها فأخفى نفسه ! معطي الطعام دخلها فصار جائعاً !

مروى الجميع دخلها فخرج ظمآناً ، ساتر الكل خرج منها مكشوفاً وعرياناً !

+ بينما كان على الصليب كان يحيي الموتى ، وبينما كان طفلاً كان يكوّن الأطفال .. المجوس أحضروا له مراً وذهباً ولباناً ، بينما كان مخفى فيه كل كنوز

(١٩) عن ميمر الميلاد للقديس مارأفرآم - ترجمة القس تادرس يعقوب .

الغنى . كإله أعطى مريم لبناً ثم عاد ورضعه منها كابن للبشر .

كانت تغزل له وتلبسه لأنه خلع عنه ثوب مجده ...

وهكذا تكلم كثيراً عن ميلاد المخلص وقيامته فى ميامر عديدة ، وله الكثير أيضاً من تلك الدرر الثمينة فى موضوعات روحية مختلفة .

+ كتب عن نصيبين قصائد بلغ عددها ٧٧ وأطلق عليها « نصيبيات » وقد تناولت موضوعات مختلفة عن نصيبين .

+ المجموعة الثانية ذات مركز ممتاز .. وكانت فى الرها واعتبرت من النتاج الشعرى الرائع له ، وسميت باسم « سوغيثا » وفيها كتب الكثير عن آلام السيد المسيح وقيامته (٢٠)

+ هناك أيضاً قصصه الشعرية الكثيرة التى تضمنت شرحاً للحياة ، والتعاليم الكنسية ، وكان قوياً فى شعره فقد أخضع لفنه جميع الأوزان السريانية ، هذا وقد حذا حذو داود النبى فى مزاميره .. و يقولون إنه كان يتول بنفسه تعليم المرتلين طريقة ترديد شعره ترديداً صحيحاً .

ومما يذكر عن كتابات بلغته السريانية شرح لسفر التكوين وجزء كبير من شرح سفر الخروج محفوظ فى مكتبة الفاتيكان ومختصر لشرح العهد القديم صنفه ساويرس الراهب الرهاوى عام ٨٦١م ، وقد بقى منها مخطوطان أحدهما بمكتبة الفاتيكان ، والأخرى بالمتحف البريطانى .

وله كتابات كثيرة عن محاربته لتعاليم مانى ، ومرقيون ، و برديصان بعنوان الرد على المارقين إلى « هيباتيوس » وأخرى مثلها إلى « دمنوس » وأخرى إلى « يوليانوس » امبراطور الروم الذى ارتد إلى الوثنية .

وله كتابات أخرى فى النصف الأخير من عام ٣٦٣م ، الكتب الخمسة الأولى منها تبتدىء كل منها بحرف من حروف اسمه ، أ.ف.ر.ى.م . كما يذكر فيلوكسينوس

(٢٠) عن كتاب تاريخ الأدب السريانى للدكتور مراد كامل ص ٧٠ - ٣٧ وكلمة « للسوغيثا » تعنى قصائد منظومة على البحر السباعى .

المنجى أحد كتاب أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس أن له ميمراً نثرياً عن سيدنا يتكلم فيه عن مجد ألوهيته وأعمال الخلاص ... أيضاً له رسالة إلى رهبان جبل الرها ... هذا وقد ترجم الكثير من كتبه إلى اليونانية والأرمنية ، والقبطية ، والعربية ، والحبشية ...

## اللغة السريانية :

إنها إحدى اللهجات الآرامية ، وقد أطلق عليها اسم اللغة الكلدانية ، ولقد كتب بعض أجزاء الكتاب المقدس بالآرامية مثل أجزاء من سفر عزرا ، ودانيال مما يدل على انتشار الآرامية فى عصر الفرس ، وقد جاء فى سفر ( الملوك الثانى ١٨ : ٢٦ ) ؛ ( إشعياء ٣٦ : ١١ ) أنه فى سنة ٧٠١ ق.م لما حارب سنحاريب بيت المقدس فى عهد حزقيا كان الشعب يتكلم الآرامية .

ومن اللهجات الآرامية (٢١) . لهجة الرها وموطنها ما بين النهرين بإقليم الرها « إدسا » - edessa ، هذا وقد دون السريان كتبهم بأنواع عدة من الخطوط .. كان أقدمها مدوناً بالخط الاسطرنجيلى و يفسره البعض بخط الانجيل أو الخط المستدير .

جاء بعده الخط اليعقوبى نسبة إلى « اليعاقبة » والخط النسطورى نسبة إلى « نسطور » والخط الملكى نسبة إلى « الملكيين » والخط الأخير مستخرج من الثلاثة خطوط السابقة .

وقد أجاد السريان اللغة اليونانية ، ولذا قاموا بنقل التراث اليونانى إلى العرب ، فحينما ابتدأ العرب يهتمون بالعلوم والفلسفة اليونانية كانت الترجمات السريانية لها الأهمية فى هذا ، وكان من المترجمين المشهورين حنين ابن اسحق ، يحيى بن البطريق ، وابن زرعه ، وهناك مجموعة نفيسة من المخطوطات السريانية كانت لدينا وقد أهداها « السمعانى » على عدة دفعات إلى مكتبة الفاتيكان وغيرها ...

و يعتبر القديس مارأفرآم أحد الكتاب السريان فى القرن الثالث والرابع الذين أهمهم أسونا الذى عاش راهباً بالرها ، ووافا بن عجى الذى كان أسقفاً على سلوقيا

(٢١) أنظر المرجع السابق ص ٣ - ١٣ ، ص ٦٧ - ٨٣ .

والمدائن والسوس، وشاهد وست الجاثليق، وافراهاط وقد اتخذ له اسم يعقوب عندما رسم اسقفاً.

## مدرسة مارأفريم:

تشأت فى الرها مدرسة مارأفريم (مارأفرآم) التى امتدت بعده إلى أوائل القرن الخامس، وأهم تلاميذه:

سمعان: وهو الذى تنسب إليه سيرة القديس مارأفرآم، ابراهام، مارالاجيلى، أبا زنوبيوس الجزيرتى الذى كان شماساً فى كنيسة الرها وله رسائل فى الرد على مرقيون، ويامفيلوس وله رسائل إلى كل من ايزودور، ولوكيلوس، وابراهام وأيوب، يعقوب وله بعض شروح لكلام معلمه مارأفرآم، اسحاق، وآسونا وشمعون السمياطى ويوليان، أرا من الكتاب الذين ينتمون إلى جماعة مارأفريم فى نهاية القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الذى عارض السحرة، وقد ذكر القديس هذه الجماعة بالمدح والثناء أما أروط وياولونا وقد رجع عليهما باللائمة إذ انحرفا وسقطا فى هرطقه.

## نياحته:

هناك فى الكهف الذى أحبه القديس مارأفرآم بجبل الرها قد تنيح، وانضم إلى آبائه، وكان ذلك فى التاسع من شهر يونيو عام ٣٧٣م، وقد ترك وصية نظمها بالشعر وهى مؤثرة للغاية:

« لا تضعونى تحت مذبح الله لأنه لا يليق أن توضع الجيفة النتنة فى المكان المقدس، ولا تضعوا جسدى مع القديسين لأنى خاطىء، ولا أستحق، وعوض أن تضعوا علىَّ العطور اذكرونى فى الصلوات. عهداً قطعت مع الرب أن أدفن مع الغرباء لأنى غريب مثلهم، ضعونى يا أخوتى معهم، ضعونى فى مقبرة متكسرى القلوب، حتى حينما يأتى ابن الله يضمنى إليه ويقيمنى معه....

فأخرجوا جسده من مغارته وسار وراء جثمانه كل شعب الرها، والبلاد المجاورة، والأساقفة والكهنة والشمامسة، والرهبان، والآباء المتوحدون، ووضعوا الجسد الطاهر حسب الوصية فى مقبرة الغرباء بعد ذلك بقليل نقل الجسد أهل الرها وبنوا له مقبرة

بين مدافن الأساقفة ، ثم أقيم فوقه دير عرف باسم الدير السفلى « بجوار الرها » ومازال قبره معروفاً هناك .

وتعيد له كنيستنا فى الخامس عشر من شهر أبيب (٢٢) ، من كل عام ، وهو أيضاً تذكار نياحة الشهيد قرياقوس الذى استشهد وكان له من العمر ثلاث سنين مع أمه يوليطة ، و يوجد جزء من رفاتهم مع أجزاء من رفات بعض القديسين الآخرين (٢٣) . فى مقصورة خاصة مع القديس الأنبا يحنس كاما بدير السيدة العذراء ( السريان ) .

وتوجد للقديس أفرآم بكنيسة السيدة العذراء ( السريان ) أعلى مقصورة أجساد القديسين صورة أثرية يرجع تاريخها إلى عام ١٧٧٣م بها القديس ممسكاً بفرع شجرة مثمر مكتوب بجوارها عكازه الذى أورق و بيمينه شورية و يلبس ملابس شماس !

اسأل الرب عنا أيها القديس العظيم مارأفرآم لكى ينعم لنا الرب بغفران خطايانا آمين .

° ° °

## مديح القديس اغريغوريوس أسقف نيصص للقديس مارأفرآم السريانى

إن الذى يحركنى على هذا الذى أنا أتكلم عنه (١) ، المثل الذى قيل بالإنجيل المقدس « لا يوقدون سراجاً و يضعونه تحت المكيال ، بل على المنارة فيضىء لجميع الذين فى البيت ، فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » ( متى ٥ : ١٥ - ١٦ ) .

ليتحل لسانى بعدما كان للجام الصمت خادماً ، فلا نترك الحديث عن سيرة أبينا الطوباوى القديس مارأفرآم ، وندفنها فى قاع الصمت بل لنشهرها فى درة البيعة حتى تظهر للذين فى مسكن العالم ، فإذا عرفت لهم مجدوا الآب الذى فى السموات ...

(٢٢) سنكسار الكنيسة القبطية - ١٥ أبيب .

(٢٣) سيرة القديس أنبا يحنس كاما - دير السريان ص ٥٠ - ٥١ .

(١) عن المخطوطة ٢٠٠ ميامر - دير السيدة العذراء ( السريان ) بتصرف .

وواجبنا أن نجعل نحن السبيل إلى تعبه وتقريظ فضائله من ههنا ، لا سيما وإن كانت واحدة من فضائله حجة واضحة إلى الثناء عليه ولما كان هو لا يسر بالمديح كان ذلك له زيادة فى فضائله ، ومضاعفة لها وكان غرضه أن لا يظن أحد أنه صالح .

لقد فتح لنا فى الأول أن نبدأ الكلام الذى ينبغى لنا ألا نبعد عن الغرض ، ولا نهوى فيه ، بل نسلك طريقاً ملوكياً ، وتتأمل أن ذلك الرجل العجيب لو لم يعلم أنه أهل للمديح لما كان منع من يريد أن يمدحه ؟ لأن من يعلم أن لا فضل فيه يستحق المديح لن يوصى أحداً بأن لا يمدحه ، بل يهمل أمر نفسه جملة ، وهنا نقول ما ذكره الرسول بولس مزين الكنيسة بتعاليمه « إننى لست أهلاً أن أدعى رسولاً » فزاد ذلك من فضيلته لما ظهر فيها من وداعته وتواضعه ، كذلك هذا الأب الجليل لما حكم على نفسه أنه غير أهل للمديح . فأصبح أهلاً لكل وصف ومديح لأن كنيستنا المقدسة تكلل الذين فى الفضيلة بكل أنواعها ، وفضيلة الوداعة أو التواضع هى أفضل بحسب ما قيل « كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع » (٢) .

فمن هنا صار مثل المصباح الذى على منار مرتفع ، ينير للآخرين و ينادى بذكر سيرته الطاهرة ، وإذا ما عرف السامع الحكيم هذا عرف فضائله التى منها جمعنا أكليلاً ذهبياً بأنواع من الحجارة الثمينة مرصعاً ، وقدمناه لعروس المسيح التى هى البيعة المقدسة تقدمه مأثورة وهدية مشهورة ، وهو ذلك الإنسان الذى أفواه جميع المسيحيين لا تشبع من ذكره والثناء عليه ، أعنى أفرآم السريانى ، إننى لا أستحى من ذكر اسمه إذا كنت أتجمل بأخلاقه ، وهو أفرآم الذى ضوء سيرته وعلمه قد أنار العالم ، وصار معلوماً عند كل الناس .

لن يجهله إلا من يجهل باسيليوس الكبير الذى هو كوكب الكنيسة المنير ، أفرآم هو نهر فرات معقول البيعة الذى منه تشرب جماعة المؤمنين فيثمر كل واحد منهم من زرع الأمانة أى الإيمان بدل الواحد مائة ، أفرآم كرمة الله الكثيرة الثمر التى تحمل عناقيد شديدة الحلاوة من تعليمه ، والتى بها تسر جماعة الكنيسة بالامتلاء من المحبة الإلهية !.. أفرآم هو الإنسان الأمين الذى يوزع أقواله فى الفضائل و يسوس منزل سيده بالسياسة الحسنة التى لا عيب فيها .

(٢) ( لوقا ١٤ : ١١ ) .

لم يذكر جنسه ، وشرف ميلاده ، على أنه لو ذكر كان فيه الكفاية ، إلا أن ما زين به نفسه فى سيرته ومقالاته كان أجل من ذلك وأفضل ...

كيف يرضى أن يمدحه أحد وقد طرح كل حسب فى العالم ، وقد اختار أن يكون لله وحده ، وكيف يتباهى بوطن من كان يتصور أنه غريب فى الأرض كلها !.. و يستنكف من كل قنية مادية من كان يرجو الطوبى الأزلية فى الدار الباقية .

كانت تربيته منذ إبتداء نشأته فى درس الكتب الإلهية . وكان شربه وارتواءه من العين الجارى ، ولم يزل يتزايد منها إلى أن وصل إلى ملء قامة المسيح ...

+ ينبغى لنا ألا نجرى فى سبل غريبة فنخطىء طريق الآباء الملوكية ، وهو العمل والعلم اللذان تتبعهما الفضائل العشر وهى الأمانة ( الإيمان ) والرجاء ، والمحبة وحسن العبادة لله ، ودرس الكتب الإلهية ، وتطهير النفس والجسد ، والدموع الدائمة ، وما يتبع ذلك من سكنى البرارى ، والهرب من المضرات ، ومداومة التعليم ، والصلاة التى لا تفتر ، والصوم والسهر والزهد فى القنية والخضوع الواصلان إلى أبعد غاية ، والرحمة التى تتجاوز الطبيعة البشرية ، والغيرة الإلهية على من لا يسيرون فى حسن العبادة وغير ذلك ..

بهذا المديح يتجمل أبونا هذا ، وبهذا المقال نعرفه ، ونميل إلى ذكره للمنفعة ليس له بل لنا لأن اسمه أصل وطريق للفضيلة فجمعنا نحن ما يشبه النحلة الممدوحة التى تجمع رحيق الأزهار وأصلحنا من ذلك شمعاً روحانياً ، أنه لن يجرع من الشيطان الشرير الذى من شأنه أن يعرقل الجماعة عند أواخر حياتهم وجهادهم ، فقد وصل إلى ميناء الروحانيين ، وأصبح خارجاً عن الاضطراب ..

هلم يا صاح أن نتأمل هذا الرجل العجيب ونشرح حاله وإلى أى مقدار من الصعود الروحانى قد وصل ونبينه للذين اجتمعوا ههنا .

نبتدىء من الأمانة التى وصل منها إلى الطريق المستقيم الذى عن حسن العبادة بحسب ما عرفناه من مصنفاته العديدة ، وما تسلمناه من رأى الكنيسة المقدسة فيه ، لأنه رفض ما جمعه سابليوس ، وما قد هرطق به آريوس .. فوقف هو عند الرأى الأرثوذكسى المستقيم ، فنادى بالثالوث المقدس الواحد فى الجوهر . وأما أبوليناريوس

فقد دفع رأيه البهيمى وأخرجه من المسيحية لأنه أنكر أن للسيد المسيح نفساً إنسانية عاقلة وترك لنا فى ذلك أقواله التى علمه إياها الرب .

أما نواطس فإن آثر أحد أن يبصر هزيمته من مصارعة مارأفرآم بأقواله فليعلم أنه كان مثل هبوط الشرير فى الهاوية نتيجة صلب المسيح .

ولم يكتف بإجابة من ظهر فى ذلك الوقت من المراطقة بل شجب ما كان سينشأ فيما بعد بسيف الإيمان بأقواله المستقيمة ، بما أبصره بعين الإيمان .

+ أما رجاؤه وثقته بالله وحده فكانت دليلاً للمستحقين النعمة الخالصة من الرجاء والثقة بالخيرات التى ستكون لهم فى الموعد .

وكان يهذ دائماً طول حياته من أقوال المزامير « أن قلبى عليه يتكل .. » ، ولما كان رجاؤه وثقته بالله بهذا المقدار أحاطت به نعمة الرب ، تلك النعمة التى تجعل المتكلين عليها مثل جبال صهيون وترفعهم إلى الطوبى والسعادة الصادقة . فقد حصل ما قيل لداود النبى « طوبى للرجل الذى اسم الرب رجاؤه .. » وكذا إرميا النبى بقوله « مبارك الرجل الذى يتكل على الرب وكان الرب متكله ، فإنه يكون كشجرة مغروسة على مياه وعلى نهر تمد أصولها .. (٣) » ، وكذا إشعياء النبى بقوله « إن ملكنا الرب مخلصنا .. ها الله مخلصى ... » ، وبولس الرسول يقول « سبيلنا أن نتمسك بالميعاد .. لأن الذى وعدنا صادق » . فلما كان القديس أفرآم متمسكاً بهذا الرجاء تهاون بالعالم واشتاق وسعى إلى المجد الدهرى الباقى إلى الأبد .

+ أما محبته لله والقريب .. قد وصل إلى حفظها مما لا يحتاج إلى برهان آخر . فقال عند انصرافه من هذا العالم : ما جدفت على الرب ، ولا خرجت كلمة جهل من شفتى ، ولا لعنت أحداً ، ولا خاصمت أحداً . فيا له من لسان سعيد يلفظ بهذا الذى لا يليق أن يقوله إلا الملائكة الذين لا اضطراب لهم ، أما نحن المرتبطون بالجسد فهذا القول فوق طبيعتنا . كما نجد فى هذا القديس طهارة خلقه ، وخالص وده لأن المحبة إذا كانت أجل الفضائل فقد كان أفرآم المغبوط قد حفظها وقام بواجبها أكثر من غيره من الآباء .

(٣) ( إرميا ١٧ : ٧ ) .

وقد ذكرنا نموذجاً من أعماله وروحانيته ، وإن كان يعتبر لحكمته معلم المسكونة .

+ وأما درس الكتب الإلهية فقد أشعل نفسه مصباحاً من أقوال داود النبى ، فاشتعلت فى قلب هذا القديس نار من النظر الإلهى ، فألهب قلبه شوقاً حتى درس كل كتاب عتيق وحديث ، وفتش كتب تكوين الخليقة ، وأظهر ما فى قاعها ، وكان الروح القدس سراجه فى ذلك . وأوصلها إلى غيره .. كما وصل إلى الحكمة الروحانية من تقويم اللسان والمنطق ، وما كان فى قاع المعانى فاحكم ذلك ، فما كان ناقصاً ضبطه وما كان غير نافع طرحه ، قوم تجارته فى العمل بميزان العدل ...

+ وأما الطهارة فقد احكم وقوم منها للجسم والنفس ما زاد عن قوة الطبيعة ، فلم يطلق للنفس أن تنجرف وتتراخى ، بل كان مالكاً نفسه ، والشاهد على هذا خبر تلك الزانية التى كان ابليس عدو البشر قد طرق لها خديعة تعملها له فدفعها بمواعظه وصلواته وأقواله ، إلى أن نقلها مما كانت عليه وصارت عفيفة وطاهرة بعد أن كانت نجسة !.

أما الدموع إذا أردت ذكرها فإن أفرآم كان فى ذرف الدموع ومداومتها بصورة الإنسان الذى لا يمكنه أن يعيش بدون التنفس ، فكان لا يخلو وقت ما من نزول الدموع ومداومتها الليل والنهار وكل لحظه . لم أبصر عينيه قط جافة ، بل كان يبكى تارة جهراً ، وتارة سراً ، كان يبكى على زلاته ، وربما قطعه بتنهداته ، وكانت الزفرات تستدعى الدموع والدموع تستدعى الزفرات إذ المعروف أن تستبدل الدموع بالزفرات أو العكس ... وللمتأمل أن يشاهد ذلك من كتاباته . فيجده كان باكياً فيما قاله عن التوبة . بل وفيما صنفه من المدائح التى من عادة الغير أن لا يذكر فيها إلا السرور لقد كانت صورته واضحة .. يدعو بها سامعيه إلى الحياة الصادقة .. فهذه قوة نطقه الروحى الممزوج بالدموع ، فمن يسمع كلامه ولا يلين و يطرح صلابة أخلاقه ومن يكون وحشياً فى خلقه فليتصت لشىء من تعليمه ولا يبكى على الزمان الذى صرفه فيما لا ينبغى ؟. ومن يكون عديم الإنسانية فيذوق حلاوة ألفاظه ولا يسارع إلى الخضوع والتأنى محبة فى الخير ؟..

ومن يكون قد ألف الشرور واستعمل اللذات والتباعد عن الدموع و يتأمل قوله فلا

يبكى و يندم على ما سلف منه من تفريط و يتصور المجازاة التى تنتظره ؟.. قد رأينا أنه جاء إلى النفوس التى لا ترتيب لها فأقنعها أن ترجع . ومن يبكت من ميامره عن الاتضاع ولا يبغض ومقت نفسه ، و ينادى أنه أقل من كل أحد !

من يقرأ ما قاله عن العفة ولا يحرص أن يكون طاهر النفس والجسد ؟! ومن يدنو من قوله عن الدينونة وحضور السيد المسيح ولا يتصور أنه واقف ومطالب بما عليه و يرعد من الدينونة التى ستناله . هكذا صور هذا النبى العظيم الدينونة الآتية حتى أنه لم يترك شيئاً عنها ، بل تكلم عنها حتى جعل معرفتها كأنها بالفعل المباشر وما كان يتخيله و يتصوره ذلك القديس لتلك الساعة جعله يهرب من العالم و يبعد عنه و يتدبر البرارى والقفار ، و يتأمل ذاته و ينتصب لله ، و يأخذ هناك المزيد من الفضائل ، لأنه كان قد علم علماً شافياً أن سكنى البرية يعتق ، ويخلص من يريد الفرار من الاضطراب . وأن الصمت والسكوت يجعل الإنسان للملائكة مشاركاً ، وبمناجاتهم متشاغلا ، وإلى النظر فى الله بحسب طاقته متزايداً . وكان الروح يدفعه إلى التنقل من موضع إلى آخر لإصلاح الكثيرين و بنائهم ، فما كان يمتنع لأنه كان منقاداً إلى أوامر الله فى كل شىء انقياداً تاماً . فلما أمر أن يترك وطنه مثل ابراهيم أجاب ذلك وقصد مدينة الرها لأنه ما كان لمصباح أن يغطى ! وأن يكون فى المواضع المقدسة التى هناك ليجتمع برجالها فيجتنون ثمرة علمه ، ولما وصل عند باب مدينتها انتفع من تلك المرأة التى قالت له يحق لى أن أنظر إلى الرجل لأنى أخذت منه ! أما أنت فلتنظر إلى الأرض التى أخذت منها فاعترف أنه قد انتفع كثيراً ومجد قوة الله التى لا تدرك ، ثم سار إلى قيصرية كبادوكية حيث أرسله الروح القدس إلى باسيليوس الكبير الذى هو فم الكنيسة والناطق بالأقوال الذهبية ؟ فلما رآه ابتدأ يثنى عليه ! وأبصر حمامة بهية جالسة عن يمينه ومنها عرف أن ذلك الأب هو أفرآم السريانى ، فبدأ بابتغاء روحانية وعلم أن تعبه لم يذهب باطلاً ...

+ أما طبيعة عقله الصحيح فكان يبصر بها الفرار مما هو غير صالح ، وتحفظه من الأدناس وأن يخرج به إلى ما هو نقى .. وأن السيد المسيح قد وهب هذا الشيخ وفرة الأقوال التى يتاجر بها ، و يوزعها على قلوب المؤمنين .

لقد قال إنه أبصر وكأن كرمة قد نبتت على لسانه وعظمت حتى ملأت الأرض ،

وأكلت منها كل الطيور، وزاد غناها فيما بعد بوفرة عناقيدها.

وشهد إنسان آخر أنه رأى كثرة من الملائكة منحدرين عليه من السماء ومعهم لوحاً مكتوباً من الناحيتين وكانوا يسألون كل الآخر لمن هذا.. وأخيراً اتفقوا أنه لن يقدر على هذا غير أفرآم.. بعدها سمع أفرآم هناك يعلم بأقوال مزدانة بالنعمة فأبصر تفسير ما رآه ومجد الله وتعجب من تلك الموهبة العظيمة التى للقديس...

وهذا ما وهب من الحكمة وغزارتها حتى صارت مجارى كلامه دائمة وصارت الأذهان دائمة الاطلاع على معاينته، ولم يكن شيء ما يشغله عن النظر الإلهى...

+ قد أمات الجسد مع لذاته، وجعله بالنسك والإمساك عبداً لكل أفكاره، وإنهاكه بالصوم. إلاَّ أن قوته كانت تتزايد فى النهوض إلى الأشياء النافعة للنفس، ما كان الليل يعيقه عن عمل الفضيلة لأنه كان يقظاً ساهراً، وكان طعامه مقدار الكفاف لحفظ الحياة، وكان يطرد النوم عن عينيه بأسباب شتى بإذلال جسده.

أما الزهد فى القنية فكان كالرسل، وكان مثالا لكل زاهد فى القنية وأنا على ذلك شاهد لصوته الذى قاله عند رحيله إلى السماء: لم يوجد لأفرآم قط كيس ولا عصى ولا مزود، ولا فضة ولا ذهب ولا غير ذلك من قنية الأرض إذ سمعت من الملك الصالح فى إنجيله المقدس «لا تقتنوا لكم شيئاً على الأرض» كما كان أفرآم متهاوناً بالمجد ومحباً لما هو أفضل من هذا وأجل... والذى يشهد له فى التواضع أقواله التى تنادى بأن تلك الفضيلة أكبر فضائله، واهتمامه بها كان أكثر شيء..

كان ملازماً ومواصلاً البكاء، يستعمل من الطعام ما ليس فيه لذه، ومزج كأسه بالبكاء، وكان يطرح كل مجد بشرى، وعند سماعه المديح يبذل ألواناً من الجهد و يطرق إلى الأرض حتى ينضح عرقاً، و ينقطع كلامه من شدة الخجل.

+ وعند انصرافه من هذا العالم إلى الحياة الدهرية الباقية، قال لا تلحنوا على أفرآم، ولا تكفنوه بثوب نفيس، ولا تجعلوا لجسدى قبراً خاصاً، فقد تعاهدت أن يكون مضجعى مع الغرباء لأنى غريباً كنت فى العالم كآبائى.

أما الرحمة والتحنن فلم يكن لها صانعاً فقط بل ومعلماً، إذ لم يترك له الزهد قنية

بعطيها .. فكلامه كان بمثابة مفتاحاً مصنوعاً من الله يفتح خزائن الأغنياء و يفرقها على المحتاجين إذ كان يحرض الناس على الرحمة .

وربما يظن أن هذا الرجل ما كان له فراغ أن ينظر أقوال الكنيسة لأنه لم يتفرغ من كثرة هذه الفضائل . إلا أنه قد تأدب بالمعنيين معاً ، كان يقومها و يزينها كما كان أيضاً له معرفة بتوبيخ الهراطقة وتبكيتهم وغيرته على العبادة الصالحة فى كل وقت ، كما قد أبطل ما كتبه أبوليناريوس وما فيه من هرطقة بقصد حكيم متشبهاً بيعقوب فى حيلته على أخيه عيسو.. فقد كان مثالاً للغيرة على حسن العبادة .

+ أما الدعة واللين فكان يستعملهما ، أما عند المناضلة فكان يظهر الشدة و يدخل فى ذلك الحكمة والمعرفة عند الحاجة إليها ، كما يجرب الصياد سهامه فى صيد الوحوش ، وكمدير السفينة تتبين قيادته عند مقاومة الرياح ، كالطبيب الحاذق الذى يعرف بما ينقذه من الآلام التى يصعب شفاؤها ، والناسك المقاتل تعرف شجاعته إذا قاوم قتالاً ضارياً . ولم يكن هناك فضيلة إلاَّ وقد بلغ غايتها وأحكمها ، ويمكننا أن نشبهه بعين تدر مياهاً صافية حسنة ، ينتفع بها كل من يستعملها ، وكبستان كثير الأثمار وحسن الأزهار ، طيب الرائحة ، وكسماء على الأرض مزينة بعدة كواكب ، أو كفردوس عدن الكثير الفرس والأثمار .

كان غرضه مدة حياته اقتناء الفضيلة الكاملة ، وأن يجمع كل فضيلة كانت فى غيره !.. أخذ من هابيل فضيلة قربانه المقبول حيث لم يكن له ذبائح ، ولا قدم للرب شحماً بل قدم ضحية ناطقة ، وعبادة ملتهبة بنار الطهارة والنسك !

أما آنوش فتشبه برجائه ، فلم يدع الرب وحده بل علم آخرين مثله . وأخنوخ الذى انتقل من الهيولى إلى الاختلاط بالروح فى الفردوس ، ونوح الذى خلص عطب العالم ، أما إبراهيم فيشبهه فى أمور كثيرة ، منها الأمانة ( الإيمان ) والدعة ، والمحبة لله ، لا سيما هربه من أهله كما هرب ذاك وكانت ذبيحته تقديمه إياه لله ضحية بإماتة أعضائه !

واسحق الذى تشبه بالموت الطوعى ، إلا أن هذا قدم نفسه وصارت له الحياة مثله وتشبه أيضاً فى بركات يعقوب لأولاده إذ بارك ابرآم تلاميذه عندما كان عتيداً أن

ينصرف من الجسد، أما يوسف فتشبه به بالعفة والطهارة، كما تشبه بموسى رئيس الأنبياء إذ قد هرب من فرعون العقلى وأبصر الله بالإيمان لقد شق بحر المراطقة وعبر بشعبه للأرثوذكسية وخلصهم من التجديف! لقد أخرج ماء من الصخرة أى القلوب المتحجرة، التى لينها فقطرت ماء الدموع، وأطعم الناس خبز الروح أى أقواله التى تدعمت بها النفوس؛ فصارت به تتقدم إلى الخبز الإلهى السرى... وأعطى المؤمنين بدل السلوى ذكر الله الذى به علمنا السلوك إلى السماء؛ وإن أردنا أن نقارن بينه وبين آخرين من الآباء نجد أن: يشوع بن نون قد شق الأردن، وهذا فتح أيدى الأغنياء وبسطها للعطاء، ووزع على الشعب أرض الميعاد بل ملكوت السموات بتعاليمه.

قدم لله مثل صموئيل منذ صباه..

.. ومثل أليشع بنعمة مضاعفة أهل لنظر الإلهيات.

سكن البرية مثل يوحنا المعمدان، وصار منادياً بالتوبة فعلم القادمين إليه أن يعترفوا بخطاياهم، ومثل بولس معلم البيعة، صبر على الكثير من التجارب وما تراخى قط فى إلقاء بذور التوبة، وبالغ فى زراعة الإيمان..

لقد شابه فى فضائله جماعة القديسين الذين ملأوا المسكونة لقد حدث أن أحداً ما قال يجب ألا أكفن بكفن نفيس، وأن يكن فليدفع إلى المساكين، وحدث عند انصراف هذا الشخص أن تقدم أحد بثوب نفيس لكن قال فى نفسه إنه أولى به من أن يقدمه للمساكين فصرعه للوقت الشيطان، وجنى أمر عصيانه وبقى طريحاً عند القديس مارأفرآم.. فالتفت إليه وقال له قل ما صنعته وخالفت فيه حتى صرت هكذا.. فاعترف للحال بعصيانه وأعاده صحيحاً بوضع يديه وصلاته عليه، ثم قال له تمم الآن ما وعدت به، وهذه الآية صنعها القديس فى أواخر حياته، قبل انصرافه إلى ميناء الملكوت حيث لا موت ولا اضطراب وهكذا انضم إلى القديسين...

لقد استقرت نفسه الطاهرة فى المساكن السمائية، حيث مواكب الملائكة وصفوف الأنبياء بجانب كراسى الرسل الأطهار وحيث سرور الشهداء وبهاء المعلمين ومحافل الأبكار، هناك فى ملك الخيرات الذى تشتاق الملائكة أن تطلع إليه، فى ذلك الموضع القدسى صارت نفس أبينا الطوباوى أفرآم، وما قد جمعه فى عمره قد تقدمه هناك، وإذ

تتقدم أولى فضائله وهى المحبة، فتقول انظرى أيتها النفس المحبوبة ما أعطيتك من جمال ثم يتقدم التواضع.. إلخ وهكذا بقية الفضائل التى اكسبت نفسه ذلك الجمال العجيب. أطلب عنا يا أبانا القديس أفرآم لأجل مغفرة خطايانا وميراث الملكوت الأبدى بالمسيح يسوع ربنا الذى له المجد الدائم آمين.

## مديح للقديس مارأفرآم - كما جاء بكتاب الدفنار

### اليوم الخامس عشر من شهر أبيب المبارك

### تفسير آدام:

أفتح فاى أنا الخاطىء لكى أقصى كرامة أبينا البار أنبا أفرآم (١) هذا الذى قصد الرب منذ صغره مثل صموئيل فى بيت آبائه، وتشبه بدانيال النبى بروح الحكمة، وفهم متيقظ وتشبه بموسى النبى، ذلك الذى تعب مع شعبه.

أنت مغبوط يا أبانا أنبا أفرآم لأنك تحكمت فى جيلك، طوباك أنت يا أبانا أنبا أفرآم صفى الله، طوباك أنت أيها القديس البتول لأنك حزنت فى هذا العالم الباطل لتفرح فى الدهر الآتى، وتعبت فى الجسد الماثت فتنيحت بالروح المحيى. طوباك أنت يا أبانا أنبا أفرآم لأنك أكملت سعيك جيداً، أحببت تعب الصوم والعبادات، وفضائل الطهارة، وحرمت ذاتك الطعام الأرضى، واستحققت طعام الملائكة، عطشت على الأرض من هذا الماء المعروف فسقيت من ماء الحياة.

بصلوات القديس العظيم أنبا أفرآم السريانى يارب أنعم لنا بغفران خطايانا.

### تفسير واطس:

أنا الحقير غير المستحق أتكلم بعظم كرامتك يا أبانا البار العظيم أنبا أفرآم، لأن نعمة الروح القدس فاضت عليك مثل آبائنا الرسل، فسرت الكتب المقدسة وإن دعوتك ملاكاً فأنت ملاك حقاً، لأنك حفظت جسدك مثل ملاك، وإن دعوتك نبياً فأنت نبى لأنك فسرت الكتب المقدسة، وإن دعوتك رسولاً فأنت رسول لأن أقوالك

(١) عن المخطوطة ٤٤٥ طقوس - دير السيدة العذراء ( السريان ) العامر.

بلغت أقطار المسكونة ، وإن دعوتك بتولاً فإنك بالحقيقة بتول لأنك أوصيت الناس بحفظ البتولية ، وإن سميتك ناسكاً فأنت أفضل من ناسك لأنك جاهدت فى سيرة الرهبنة المقدسة ، وإن سميتك مدبراً فأنت مدبر بالحقيقة لأنك هديت النفوس إلى أورشليم السمائية وأكملت سعيك بشيخوخة حسنة ، وتنيحت مع جميع القديسين فى كورة الأحياء .

وفى مثل هذا اليوم أكمل شهيد المسيح قرياقوس و يوليطه أمه جهادهما الطاهر إذ عذبوهما بعذابات أليمة كثيرة جداً ، وصنعا آيات وعجائب وقوات لا ينطق بها ، ومن بعد هذا قطعوا رأسيهما المقدستين ، ونالا إكليل المجد فى أورشليم السمائية .

أطلبوا من الرب عنا أيها الأب الطوباوى أنبا أفرآم ، والشهيد الطاهر كرياكوس وأمه ليغفر لنا الرب خطايانا آمين .

## صلاة للقديس

أسجد الآن بين يديك يارب القوة والمجد (١) ، معترفاً بخطاياى ، فإن رأفاتك جزيلة وها لا مانع ولا باب يصدنى عن المثول بين يديك ، إذ أنك فى كل وقت تنتظر من يقبل إليك لتقوم إليه لأنك محب البشر .

لقد علمت أى خيرات أعددتها يارب الخير لكل الذين أحبوك وأرضوك ، وأى شدة وغضب أذخرته للخطاة غير التائبين ، غير المحبين لاسمك القدوس وأنا فعلت أى نصيب قد صار لى منها ؟!

أنظر إلى أعمالى فلا أجد ما يبرر حصول على النصيب الصالح مع هؤلاء المجاهدين ، ولكن إذ أتطلع إلى ذلك العشار الخاطىء .. الذى وقف مطرق الرأس قارعاً لصدره ، وكيف باتضاعه سكب نفسه بالحزن والانسحاق فخرج مبرراً مغفور الخطايا . فأسرع إليك ، وإذ أرى نفسى مغلوطاً بالإثم أطرح بجملتى على الأرض ... اللهم اغفر لى أنا الخاطىء غير المستحق وتحننى ...

(١) عن المخطوطة ٢٠٠ ميامر وكتاب السيح طلب لشاهير قديسى الكنيسة لدير العذراء (السريان) .

لتصر يارب من استغاثتى بك استنارة وقداسة للجسم والروح ، واجعل من صراخى بخوراً عطراً يرتفع أمامك أيها العظيم القدوس ، وكما صار ذكرك عندى حلواً ، بل أحلى من كل حلو، هكذا أعطنى كل حين من لذة عشرتك ، ومن حلاوة طهرك فإن نفسى مشتاقة إليك كاشتياق الأرض المجدبة لقطرات المطر، فاسقنى من عطفك لأرتوى وأقدم ثماراً مقبولة قبل الموت .

لست أتكل على ذاتى لكنى أتكل عليك لأنه .. إذا كان الصديق بالجهد يخلص فالخاطىء مثلى أين يظهر ؟! لكن رحمتك ورأفاتك تنتشلنى من ظلمة الجحيم ... انقذنى يا سيدى الآن إلى نصيب الأبرار قبل أن يستحيل على ذلك حينما أصير إلى الهاوية ، فتفصلنى عن رحمتك الهوة السحيقة التى لا حد لها ... وحتى إذا صرت مع الأبرار والصديقين أفتح فمى بترنيمة المجد وأسبح اسمك القدوس إلى الأبد ...

نشكرك يارب لأنك جعلتنا أهلاً أن نرفع أيدينا إلى فوق ونخدم اسمك القدوس ونبارك عظمتك ... أعطنا يارب أكثر فأكثر أن نجدك فإذا تقدسنا نعطى ثماراً تليق بك ثلاثين وستين ومائة ، ونتجر بالفضة فنقدمها إليك مع الربح لا نعطى نعاساً لعيوننا بل سهراً كل ساعة ، ونستيقظ لاستقبال عريسنا عند مجيئه ممنطقين أذهاننا بالحق ، ومضيئين بزيت البهجة ... اجعل يارب لنا نصيباً فى مقابلتك مع صفوف الملائكة والقديسين ... فنسجد كما يليق بك ونعاين مجدك الفائق الذى لا يوصف !..

المجد لمن ألبس الأذلاء ثوب الملوك ، المجد لمن جعل بنى الموت ورثة للحياة ، المجد لمن نجانا من فم الأسد وجعلنا ورثة لملكه الأبدى .. حيث الفرح والسرور حيث لا حزن ، ولا بكاء ، إذ هناك قد هرب الحزن والكآبة والتنهد .

يارب أين سيكون مسكنى فى ذلك الدهر العتيد بعد كمال عمرى ؟ أين سيكون حظى بين المتوجعين فى قاع الجحيم ؟ هل سأكون بين المرغين بالسرور على أسوار أورشليم ؟ أفى الظلمة أم فى النور؟ أفى الشدة أم فى بهجة النعيم ؟..

كيف يكون حظى فى السرور والنور وأنا هنا أعمل الشرور وأفكر فى الدنس أتكاسل عن وصايا الرب يسوع ، وأسرع فى طريق الزلل ، نشيط فى الغضب ، متوان فيما يرضى الرب وليس لى توبة خالصة لأنى مغلوب ومصروع من لذتى ، ليس لى

بكاء ولا تنهد ليس لى صوم ولا تضرع ، ولا شيء يرضى صلاحك يا محب البشر. و يلى كيف أكتب لنفسى العقوبة وأقرر لنفسى الهلاك ؟ حيث لا راحة ولا هدوء حيث نار لا تطفأ ودود لا يموت ، عمق هاوية مظلمة ، شدائد لا وصف لها ، أهوال لا يتصورها العقل ، حيث لا يرجى بعد هذا الضيق نور ، ولا ينتظر بعد هذا العذاب راحة فهو عذاب للأبد !.

ويحى أنا الشقى إذا كان هذا نصيبى نظير كسلى ، وازدرائى لمن هم دونى ، وحسدى لمن هم أعلى منى ، سكرت بشهوات العالم الزائلة ، أحببت النوم ، كرهت السهر تلذذت بالمأكل ، أعرضت عن الصوم ، انغمست فى الدنس . امتهنت الطهارة ، ملت إلى العناد أكثر من الطاعة ، آثرت الغضب والاضطراب عن الهدوء ، نفرت من السكون وتلهيت بالمجالسات حتى بردت نفسى فكرهت الصلاة التى كانت لذتى .

من أجل كثرة إثمى بردت محبتى ، ولا أطيق حزناً أو تعبيراً حتى وإن كان من أجل اسم الرب ، أسرع نحو المتكأ الأول ، وأرغب فى المديح الزائف حتى لبس جسمى الكبرياء وظننت فى نفسى أننى كل شيء !..

ويحى لقد أبغضت السماء وكل خيراتها لأتنعم باليسير من تراب الأرض ، ماذا سيكون موقفى أمام الديان يوم مجيء الرب ليجازى كل واحد حسب أعماله ؟.

يارب لقد تناسيت الآلام التى جزتها ! نسيت أنك من أجلى شُتمت ولُعنت ورذلوك ، واحتقروك ، وسمعت التعيير بأذنيك فلم تسخط ، احتملت الانسحاق من أجل شقاوتى ، لطموك ، ظلموك ، تفلوا فى وجهك ، احتملت الكل لأجل غباوتى ، أذاقوك المر.. تحملت الكل من أجل خلاصى !

ماذا أقول إن كل هذا من أجلى .. وأنا قط لم أحتمل كلمة تعيير أو ظلماً يسيراً لأجلك .. لقد اعتزلت العالم وأنا غارق فيه حتى رأسى بقلبى وفكرى لبست زى القداسة وأنا لازلت مديوناً للنجاسة ، وأفسدت طهارة محبتى . .

ياربى إليك أتضرع بصلوات قديسيك ، وبجهادهم المرير ، وأتعاب نسكياتهم التى قدموها عنا بأسهار . وصلوات ، وبكاء ، وأحزان وأصوام ، وقداسة اصفح عن ذنوبى ،

وتغاضى عن جهلى وغباوتى إذ لا تشاء موت الخاطىء ولا تؤثر أن يهلك خروفك الضال عد ونج نفسى واصنع معى حسب صلاحك حتى أترنم مع النبى القائل ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك فإن الرب أحسن إليك لأنه قد نجى نفسى من الموت !.

السيح لك يارب ما أعجبك وما أعجب أسرارك .. السيح لمحبتك التى صارت فى أفواه من يشربها ينبوع ماء تهب الحياة إلى الأبد ، والتى إذا ذاق منها أحداً ما صار باغضاً لكل ملذات تلك الحياة ، وكل من أحب بهاءك يلتهب ويحترق قلبه كل حين بل و يشتهى أن ينطلق من هذا العالم !..

السيح لمن هو مخفى عن الكل ، وظاهر للكل بأعماله .. السيح لينبوع الحياة الذى تشرب منه كل الخليقة ، السيح لمن أشرق فى قلوب محبيه معلناً سر الحياة السيح للذى نجى من الموت نفسى ، وعينى من الدموع ورجلى من الزلل لأرضى الرب فى أرض الأحياء ، فاجعلنى أن أسمع كلمة الحياة : « ابنى هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد » .

لك المجد والإكرام والعزة والسجود إلى دهر الداهرين آمين .

أقوال
القديس مار أفرآم السرياني

الفصل الأول :

# اليقظة وعدم التأجيل

« أقوم وأذهب إلى أبى وأقول له : يا أبى أخطأت إلى السماء وقدامك.. » (لو١٥ : ١٨)

حتى متى أيها الحبيب والصديق تكمل كل حين ما يسر العدو، (١) وحتى متى تخدم الجسدانيات وتتعبد لها.

امسك بمشورتى التى تحبيك وتطهر نفسك مع جسدك، تقدم إلى المخلص الشافى كافة الذين يجئون إليه بتوبة حارة.

اهرب من الحية وفسادها لأنه من يصدم بالحجر مرتين فذاك أعمى ولا يبصر ما يجب أن يهرب منه. إن كان لك حرص فتزايد فى التوبة مستعطفاً الخالق متواضعاً ومكتئباً، متنهداً ومتوجعاً. مصغياً إلى أواخر زكا العشار، ومتى اللذين تبعا المسيح، وكذا المرأة الزانية المتنعمة عندما مسحت قدمى المخلص بشعرها انتشلت من جب المآثم العميق...

أبصر نينوى المدينة الجميلة الصاخبة بالخطايا والرذائل، فوعد أن يقلبها ولما عاين هؤلاء المتنعمين أصبحوا فى المسح والرماد والصوم، والنوح والدموع متقشفين، مرتعدين، وصاروا متغيرين، متساوين فى التوبة: الأحرار منهم والعبيد، التجار والفقراء، الرؤساء والمرءوسين، الذكور والإناث، الشيوخ والأطفال. لما رآهم كلهم متذللين تراءف عليهم الرب وخلصهم، وهكذا أسرعوا إلى الإغاثة فالرب فاتح للقارعين يعطى المحتاجين بل يفرح بهم.

إن سقطت تب، ابتهل وتضرع، وأسجد وأطلب فتأخذ، إسأل أن تخلص وإذا تقومت تقدم، إذا برئت فاثبت، إذا شفيت فابتعد عن المرض، لا تضرم اللهيب الذى أطفأته، لا تعبر بالحمأة وتقع فيها تلك التى غسلتها بالجهد، فلا تماثل الخنازير الذين يفرحون بالحمأة، ولا تشابه الكلاب التى تلحس قيئها.

فمن يضع يده على المحراث وينظر إلى خلف لن يجد الملك، ومن اغتسل لا يعود إلى الوسخ، فالمسيح واحد، والإيمان واحد، والصليب واحد والقيامة واحدة فلا تصر عبداً بإرادتك للعبودية والمجد لربنا دائماً آمين.

إلى الآن كنت تعد نفسك بالتوبة وتقول سأتوب (٢) غداً فمن الآن ابعد الخطية

(١) عن المخطوطة: ٣٠٠ ميامر - دير السريان - ميمر ٢٤ بتصرف.

(٢) عن كتاب الحب الرعوى للقس تادرس يعقوب ص ٤٢٨.

أن تأتيك غداً ، وقل لها إنطلقى اليوم . ادفع الخطية من يوم إلى يوم كما دفعت التوبة ، واطرد الخطية كما طردت التوبة بالأعذار إلى اليوم وكما كنت تؤخر عمل الصلاح كذلك افعل بالخطية حتى تجد الغلبة .

جاء فى كتاب بستان الرهبان أن شيخاً حدثته أفكاره قائلة له استرح اليوم وتب (٣) غداً فقال ( لن يكون ذلك أبداً بل علىّ أن أتوب اليوم ولتكن مشيئة الرب غداً ) .

أيها الأخ (٤) اعمل فى حداثتك لكى لا تندم فى أواخرك (٥) ، لا تنافس الأشرار ولا تبارى الذين يعملون الإثم فإنهم كالحشيش يجفون سريعاً وكبقل الخضرة يذبلون قريباً . توكل على الرب واعمل صلاحاً .

تعالوا يا أحبائى ، هلموا يا آبائى وأخوتى . يا رعية الآب المختارة ، يا جند المسيح الموسومين . تعالوا اسمعوا قولاً يخلص نفوسكم . هلم نتجر ما دام الموسم قائماً . تعالوا نجد الحياة الأبدية . هلم نتبع خلاصاً لنفوسنا . أملأوا أعينكم دموعاً فلوقت تنفتح أعين أذهانكم . تعالوا جميعاً أغنياء وفقراء ، رؤساء ومرءوسين ، شيوخاً وشباباً ، بنين وبنات ... كل من يريد أن ينجو من العذاب الدهرى و يرث الملك الأبدى ... لنتضرع مع داود النبى قائلين : اكشف عن عينى فأتأمل عجائب من شريعتك ( أنر عينى لئلا أنام إلى الوفاة ) (مز١٣ : ٣) ، ولنهتف كما هتف الأعمى « يا ابن الله ارحمنى » ، فإن متعنا قوم وانتهرونا حتى نصمت فلنصرخ نحن أكثر ولا نضجر من الصراخ إلى أن يفتح أعيننا يسوع المعطى النور، تقدموا إلى المسيح اقتربوا منه واستضيئوا فلا تخزى وجوهكم (٦) .

---

(٣) عن كتاب بستان الرهبان طبعة ١٩٦٨م ص ٣١٣ .

(٤) عن المخطوطة ٢٠٠ ميامر - دير السريان - ميمر ٤٢ قول ٦٩ .

(٥) يقول القديس مار أسحق « اصطلح أنت مع نفسك تصطلح معك السماء والأرض » بستان الرهبان ص ٣٠٦ .

(٦) بستان الروح جـ ١ للقس شنوده السريانى ( مثلث الرحمات المتنيح نيافة الأنبا يؤانس أسقف الغربية ) ص ٥٠ وكتاب الحب الرعوى للقس تادرس يعقوب ص ٣١٨ .

لتتب يا أختى ما دام لنا وقت فقد سمعتم قول المسيح «إنه يصير فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب..» أيها الخاطىء لم تتوانى؟ لم تيأس إن كان يصير فرح فى السماء إذا تبت فمن تخاف؟ إن الملائكة يسرون وأنت تتوانى! سيد الملائكة هو الكارز بالتوبة وأنت تهرب؟ الثالوث الطاهر المسجود له يستدعيك وأنت تتنهد..!

**طوبى** لمن فكر قائلاً إن العالم لا يدوم.. **طوبى** لمن قال ويلى أنا الذى أخطأت.. **طوبى** لمن فكر فى علاج جراحاته.. **طوبى** لمن هو على باب الملك قبل أن يغلق.. **طوبى** لمن فكر فى كل حين فى العذاب المعد للخطاة.. **طوبى** لمن اهتم أن يهيىء له زاداً للطريق الدائم.. **طوبى** لمن اهتم أن يجمل أعماله صالحة.. **طوبى** لمن أحب الله من كل قلبه ومن كل نفسه.. **طوبى** لمن قال فى كل وقت إنى ميت والميت لا يخطىء.. **طوبى** لمن أبغض العالم وحفظ وصايا الله.. **طوبى** لمن هيأ قلبه هيكلاً لله.. **طوبى** لمن جاع بهواه فإن له طعام الحياة.. **طوبى** لمن تعرى من خطايا هذا العالم فإن الرب يلبسه لباس الملائكة.. **طوبى** لمن ترك أفراح العالم فإنه يفرح بالرب.. **طوبى** لمن يشترى هنا حسنات قبل أن يغلق السوق..

**فلنستيقظ** قبل أن يدركنا الليل وينقضى النهار.. **لنستيقظ** قبل انتهاء التوبة.. **لنستيقظ** قبل أن تنقطع الدموع.. **لنستيقظ** قبل أن يدركنا البكاء الدائم.. **لنستيقظ** قبل أن تدركنا ساعة الموت.. **لنستيقظ** قبل تلك الساعة المخيفة التى يقول فيها تباعدوا عنى إلى النار التى لا تطفأ..

فالطوبى لمن ترك أمور هذا العالم التى ستبطل فإن له ما وعد به الرب «ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو٢: ٩).

إن هارون نفسه حين أخطأ تاب بينما حفنى وفنحاس كانا يسيران بالتهاون فماتا، وسيمون ودياس حين قاوما الكرازة لم يقبلا، سفيرا وحنانيا لم يعترفا فماتا إنه الأصلح أن أتوجع تائباً أفضل من أن أتنيح وأترفه وقتاً يسيراً.

الذى أعطى العشار الفضيلة، وزكا الخلاص فليرحمنى أنا الغير مستحق.

## صلاة لمارأفرآم السريانى (١)

أيها الرب إلهى الضابط الكل قد أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً ، ولا أن أبصر علو السماء من كثرة آثامى أو أتلو اسمك الممجد بشفتى الخاطئة .. إلهى أتضرع إليك لكى لا تطرحنى من أمام وجهك ولا تبعد عنى لئلا أهلك ، إذ لولا أنك سترتنى لكنت قد هلكت ..

إننى منذ بعدت عن طريقك لم أجد صلاحاً فوقت الخطايا صار لى مراً أكثر من الأشياء المرة ، والآن أترجى نعمتك أن تعيننى لأهتم بخلاصى ، وعضدنى أنا الضال ، وامنحنى كثرة رحمتك مثل الابن الشاطر..

إلهى لقد بددت ثروة نعمتك فارحمنى ولا تذكر خطاياى وسيرة حياتى الطالحة ، كما لم تذكر خطايا الزانية ، وكذلك العشار..

ترآف علىَّ مثل اللص اليمين الذى كان أشر الجميع فجعلته فى فردوس النعيم ..

اقبل توبتى أنا العبد البطال لأنك يا ربى لم تأت لتدعو الصديقين إلى التوبة بل الخطاة .

لك المجد والإكرام والسجود إلى الأبد آمين .

---

(١) عن ميمر ٢٥ .

## الفصل الثانى :

# محاسبة النفس والاستعداد

« كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون
يأتى ابن الإنسان » (مت ٢٤ : ٤٤).

أيها الأخ الحبيب ثابر على خلاصك (١)، اجلس فى هدوء واجمع أفكارك وقل لذاتك أيها الإنسان لك هذا الزمان وأنت صانعاً الشهوات ؟!

ماذا انتفعت ؟ ماذا ربحت ؟ هل زدت على قامتك ذراعاً واحداً . لقد صرت سميناً فما خزنت لذاتك شيئاً آخر سوى طعام الدود ؟ إنك أشبعت ذاتك خيرات فهل كنزت لك كنزاً فى السموات ؟ وكيف ستفعل عند خروجك من العالم ؟.

ويلك يا نفسى إنك فى مثل هذه السيرة.. ها أخوتك قد تزينوا بالفضائل هؤلاء المتقون الله بالحقيقة، وأنا ذهبت إلى الظلمة، بالغداة أندم على الأعمال التى عملتها وفى الليلة المقبلة أكمل أشر منها، الرب وهب لى حياة وصحة وبهما أغضب من الذى خلقنى.

يا نفسى لماذا تتوانين ؟ لماذا تتهاونين ؟. يا نفسى اعرفى ضعفك وحتى متى تقاومى من خلقك، وتخالفى وصاياه ؟

أيها العدو الخبيث قد جعلتنى عاراً للملائكة والناس، مطيعاً مشورتك المنافقة إذ أوحيت لى قائلاً اعمل شهوتك مرة واحدة ولا تصنعها بعد، وها هى تلك الصغيرة قد صارت لى عظيمة، وما يمكننى أن أقاتل شهواتك الخبيثة ذات الألوان الكثيرة. لأن الماء إذا وجد ثقباً صغيراً فباستمراره صنع منه هوة عظيمة..

لقد أظلم ذهنى بالأفكار الدنسة فأتيت بى إلى حب الخطية. لمن أقول فيبكى علىّ أنا الشقى إذ العدو أوقفنى عجرداً لكى لا أنظر إلى الإتكال على الله [ ولكننى لا أيأس من خلاصى إذ هو جزيل التحنن كثير الصلاح ].

وماذا أقول للعدو لأنه حل نسكى من أجل مرضى وجعلنى غريباً عن السهر فى الصلوات، غرس فىّ محبة الفضة، جفف دموعى، غلّظ قلبى، فصلنى عن إطاعة المسيح، صيرنى حسوداً، الخشبة التى فى عينى لم يسمح لى أن أبصرها، وقذى أخى يقدمه أمام عينى، يشير علىّ أن أكتم أفكار قلبى، وإذا سقط أخى فى هفوة يجعلنى

(١) عن ميمر ٢٨ بتصرف ـ المخطوط ٢٠٠ ميامر ـ دير السريان .

أهذ فيها (٢).

لقد علمنى العدو أن أكون متكبراً وغضوباً، وجعلنى شرهاً وسكيراً ومحباً للذة...

خسارات نفسى جعلها عندى فوائد، صيرنى متذمراً، علمنى أن أكون منزهاً عن القراءة والترتيل، أصلى ولا أعرف ما أتلو، يسبينى ولست أعلم مراراً كثيرة.

« هلمى يا نفسى من الآن إلى ذاتك فى اعتماد على من خلقك، ولتذكرى نعمة من سترك لئلا يبتعد عنك. يا نفسى إهربى من إبليس فإنه قاتل الإنسان منذ القديم فإن اقتربتى إليه لا يشفق عليكى من الهلاك. فالصقى بالإله المتعطف على البشر، استحى يا نفسى من الآن واقبلى إلى طريق الخلاص ».

+ ينبغى لنا أن نحزن لأن نسيج حياتنا يبلى (٣) كل يوم، الأيام تجرى لتطردنا من الدنيا ونحن لا نسرع إلى عمل الحسنات. وهذا هو الحزن الكبير أن أيامنا تجرى إلى الوراء والخطايا إلى الأمام!

الحياة تنقضى والذنوب تكثر، ونحن كمثل بيت كثير المصروفات وليس له من إيراد فهذا سريعاً يخرب، الأيام والليالى دائبة تجرى فتنقضى من أعمارنا، النهار يدفعنا لليل، والليل يدفعنا للنهار، ليس لنا اليوم الحياة التى كانت لنا أمس. **اجعل اليوم توبتك** لئلا يأتيك الموت فى هذه الليلة الأمر الذى قد تهيئت أن تفعله ابداً به الساعة. إن تحركت فيك فكرة صالحة لا ترقد حتى تبدأ فى عملها.

أيام حياتك ليست لك، ولا تعرف كم عددها! ولست تدرى متى يدركك الموت، لست تدرى اليوم ماذا يأتيك به الليل المقبل فمن الآن اسرع قبل أن يسوقك. أجر لئلا يدركك، اسرع قبل أن يحبك..

اليوم هو لك أما الغد فلست تدرى لمن يكون؟! أنظر إلى النهار ما أسرع ذهابه فاحرص أن تذهب معه خطاياك. لا تغمض عينيك للرقاد حتى تفتح قلبك للصلاة.

(٢) يقول القديس مقاريوس .. « أحكم يا أخى على نفسك قبل أن يحكموا عليك » بستان الرهبان ص ٢٢.

(٣) عن كتاب الحب الرعوى للقس تادرس يعقوب ص ٤٢٥ - ٤٢٧ ) ٣٩٣ والمخطوطة ٣١٨ ميامر - دير السريان.

بالعشاء ابتعد عن خطاياك وبالغداة اظهر صلاحك، لا يكن قولك بعيداً عن عملك. قبل أن تقول تهيأ للعمل، إن تحركت فيك فكرة صالحة فمن ليلتك ابدأ بعملها واغتنمها، وإن تحركت فيك فكرة الحسنات فمع طلوع الشمس ابدأ بعمل الصلاح وابعد عمل الشر، لا تتعب فى شىء ليس هو لك، وتضيع شبابك باطلاً، لا يكن قلبك منشغلاً عما يغنى، عازفاً عن العمل الصالح، الحياة سريعاً تذهب والموت سريعاً يجىء. الزمان سريع الذهاب وهو متعجل أن يجوز ما خلا يوم توبتك فلا يريد أن يأتى ؟.

فى شبابك كنت تقول أتوب ! إذا ما كبرت مضى الشباب وجاء الكبر، لم تتب، أفنيت شبابك بأوجاع الشهوات والذنوب، وعندما كبرت لا ترغب أن تتوب ...

من يوم إلى يوم تطرد التوبة وأظنها قد هربت منك. فى شبابك قلت أبقى حتى أصنع هواى وأتوب عنها، منها قد كبرت اطلب التوبة قبل أن يطلبك الموت فإن بعد الموت ليست هناك توبة، الأيام التى مضت تخبرك عن الأيام التى تأتى. الأولى لم تختبىء والأخرى لا تبقى. قد كنت بعيداً عن يومك، وفجأة أردكك، وها هو مسرع إلى الذهاب كما ذهبت الأيام السابقة. انظر إلى نفسك قبل أن يجوز يومك وأذكر أن شبابك لن يدوم، تعبر مثل الظلام ومعها تنقضى حياتك.

+ كما أن الصعوبة فى بناء بيت ما ليست فى وضع الأساس بل فى الارتقاء بالبناء إلى العلو اللازم. بمقدار ما يزداد البناء و يرتفع يزداد التعب والكلفة هكذا حال البناء الروحى فإن الصعوبة الأشد ليست فى وضع الأساس بل فى البلوغ إلى كماله الأقصى !.

+ « لا شىء أعلى قدراً من خلاص النفس (٤) فمن أجلها يا أخوتى ينبغى أن نهتم ونستعد كل يوم ولا نفنى زماننا فى الاهتمام بالجسد، فإذا جاع الجسد وطلب طعاما تذكر أنت أن النفس أيضاً تطلب حاجتها، وكما أن الجسد إن لم يتناول خبزاً لا يستطيع أن يعيش كذلك النفس إن لم تتغذى بالحكمة الروحانية فهى مائته ... (٥)

(٤) عن المخطوطة ٣١٨ ميامر - دير السريان . بتصرف .
(٥) الذى يخطىء يريد أن ينهى علاقته مع الله .. فالابن الضال لما أخطأ ذهب بعيداً عن أبيه .. فاسأل نفسك هل أستطيع أن أستغنى عن الله ؟.

فلنتب زماناً يسيراً ولنملك إلى الأبد.. ليكن المزمور كل وقت فى فمك مادام لنا أوان التوبة فلنداوه بالعبرات أى بالدموع لأن وقت التوبة قليل وملك السموات لا نهاية له. نحن نطوب القديسين ونتوق إلى أكاليلهم. هل تظنون أنهم كللوا بغير أتعاب وأحزان ؟.

أية راحة كانت للقديسين فى هذا العالم ؟ بعضهم ضربت أعناقهم، وآخرون ذاقوا الاستهزاء، دفعوا للسياط والقيود والحبس، رجموا، نشروا وماتوا بحد السيف. طافوا بجلود غنم وبجلود معزى معوزين مذلين. تائهين فى البرارى والجبال والمغائر وشقوق الأرض.. وفى سرور احتملوا كل هذه وغيرها إذ كانوا ينظرون إلى الخيرات المحفوظة فى السموات التى لم ترها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على قلب بشر التى أعدها الله للذين يحبونه...

الويل للمتوانى لأنه سيطلب الزمان الذى أضاعه عبثاً ولا يجده.. ولنطلب يا أخوتى الملك الذى لا نهاية له ولا انقضاء، لنطلب ذلك الفرح الدائم فنكون مع المسيح الذى له المجد الدائم الآن وإلى الأبد آمين.

+ أطلب إليكم يا أخوتى أن تسارع (٦) من الآن لنوجد عنده غير دنسين.. إذا جاءتك شهوة أو فكر ردىء فاستل سيف التفكر فى مخافة الله ليقطع قوة العدو، وليكن لك عوض البوق الكتب المقدسة إذ كما أن صوت البوق يجمع الجند هكذا الكتب الإلهية تهتف فتجمع أفكارنا إلى مخافة الله... وأيضاً تنهضك بنشاط وتشجعك على كافة الآلام.. لذا يا أخى اغصب ذاتك بكل طاقتك أن تقرأها دائماً. إذ بسوء حيله أن صارع إنسان الفكر ولم يستطع أن يقهره حينئذ يأتى به إلى الأحزان و يظلم عقله وذهنه.. فإن لم يوجد الإنسان مستيقظاً يستطيع أن يبتلعه حياً إلى الهاوية، فإن لم يمكنه بهذه الحيلة يمنحه رفعة وطغياناً التى هى أشر من كافة الآلام، وهذه تأتى بالعقل إلى عمق اللذات فلا يعرف ضعف طبيعته، ولن يتذكر يوم وفاته. إنه يمشى فى الطريق الواسعة تلك المؤدية إلى الهلاك..

لذلك يا أخى تيقظ واحرص دائما أن تلتصق بقراءة الكتب الإلهية لتعلم كيف

(٦) عن ميمر ١٨ المخطوطة ٢٠٠ ميامر - دير السريان.

تهرب من فخاخ العدو وتدرك الحياة الأبدية . ثابر على القراءات والصلوات ليستضيء ذهنك و يصير إلى التمام .

يوجد قوم يفخرون بمخاطبة الرؤساء والملوك فلتفخر أنت أمام الملائكة إذ تخاطب الله بالروح القدس ، و بقدر ما تخاطب الله بقدر ما يتقدس جسدك وروحك .

إذا كانت يداك تعمل عملاً ما فصل بذهنك فإن حنة النبية كانت منسكبة فى صلاة قلبية عميقة جداً !

إذا كنت لا تعرف قراءة الكتب الإلهية فاذهب إلى من هو عالم بما فيها واستمع إليه فمغبوطون هم الذين يفحصون عن شهاداته و يطلبونه من كل قلوبهم . احذر الضجر والقراءة بلا اهتمام لأجل أن يشغلك بأمر آخر بل صر كالإيل الذى يشتاق أن يأتى إلى عين الماء أى الكتب الإلهية لتشرب منها . لا تهملها بل رددها واكتبها فى قلبك واحفظها فى ذهنك إذ كنت أتلو فى حقوقك وأيضاً «بما يقوم الشاب طريقه ؟ بحفظه أقوالك . بكل قلبى طلبتك فلا تبعدنى عن وصاياك . خبأت كلامك فى قلبى لكى لا أخطىء إليك» (٧)

من ذا الذى يتذكر أقوال الرب ولا يقوم طريقه أن مثل هذا يدعو ذاته مسيحياً لكن يجحد أعمال المسيحى لذا يأمر أن ينزع منه عمل الروح القدس الذى أخذه فيصير بمنزلة إناء نبيذ يرشح كثيراً فيضيع ما فيه والذين يبصرونه يظنون أنه ممتلىء لكن حقيقته فارغ .. هكذا ذلك الإنسان عندما تنكشف حقيقته أمام الجميع يوم الدينونة مثل هؤلاء يقولون أليس باسمك صنعنا قوات ؟.. فيقول لهم .. إنى لم أعرفكم (٨) .

تذكر هذه الأقوال التى سمعتها وقوم طريقك ولا تدع النسيان يخدرها و ينزعها من قلبك ... لا تدع الخبيث يأكل زرع ابن الله .. ولتخبىء التعليم الصحيح فى قلبك فيثمر بالتقوى .

جاوز القراءة مرتين وثلاثة ومراراً كثيرة وأطلب أولاً إلى الله قائلاً ياربى يسوع المسيح افتح ذهنى وقلبى لأسمع وأفهم وأصنع مشيئتك . اكشف عن عينى فأتأمل

(٧) ( مزمور ١١٩ : ٩ - ١١ ) .
(٨) ( مت ٧ : ٢٢ - ٢٣ ) .

عجائب من شريعتك.. أطلب إليك يا أخي لا تزعم إنك حكيم وتفهم ما هو مكتوب... فإن كلمات الله كالفضة المحماة سبعة أضعاف وليس فيها عيب بل هي مستقيمة للذين يفهمون.

كما أن السيف يقطع عصب الفرس و يلقي راكبه هكذا (٩) العزم الردىء يقطع قوى النفس و يدفعها إلى الحزن.

من هو الذى يريد أن يمضى إلى مدينة مسافتها خمسون غلوة فيمضى تسعة وأربعون غلوة وتنقصه غلوة واحدة. هل يقول إنه وصلها؟ لأنه قد خرج من عند أهله وموطنه؟!.

يوجد من (١٠) يترك موضعه لأجل الفضيلة، وآخر لالتماس البطالة وعدم الخضوع.

يوجد من يفحص عن الحكمة، وآخر يبغى كثيراً السيح الباطل.

يوجد من يخضع و يطيع من أجل وصية المسيح، وآخر لأجل فائدة دنيئة.

يوجد من يمدح قريبه لأجل وصية المسيح، وآخر لأجل استرضاء الناس.

يوجد من يدفع ذاته لأجل وصية المسيح، وآخر يثلب قريبه لأجل نهم البطن.

يوجد من يعمل كثيراً من أجل الصدقة، وآخر من أجل محبة الفضة.

يوجد من يعمل فى غير وقت العمل، وفى وقت العمل لا يعمل.

يوجد من يسبح و يعلى صوته، وفى وقت التسبيح يسكت أو يكلم قريبه فى الباطل.

---

(٩) عن ميمر ٣٢ المخطوطة ٢٠٠ ميامر.

(١٠) عن ميمر ٦ بتصرف ( المخطوطة السابق ذكرها ).

يوجد من يسهر باطلاً ، وفى وقت السهر ينام (١١) .

إن قلوب الناس مكشوفة لدى الله ، بدء السيرة الصالحة الدموع فى الصلاة وإستماع الكتب الإلهية ، ربوات كتب فى أذن الجاهل تحسب لا شىء ومن هو الجاهل إلا المتهاون بمخافة الله ، فإن قلب الحكيم يقبل الوصايا بأوفر خكمة .

لا تقاوم الشر بالشر ( مت ٥ : ٣٩ ) ، لا تمنع شيئاً عن أحد لئلا تلام (١٢) إذا هلك ، لا تتلون فى احترامك للناس حسب المقتنيات ، لتكن كل الأشياء عندك كأنها غير موجودة والله وحده هو الموجود ، إذا سألت قريبك ولم يعطك ما تريد فأحرص لئلا تخرج كلمة غضب من فمك تقطر مرارة ، لا تقاوم الدوافع الصالحة لأن تغيرات ميول النفس كثيرة ، أبعد الأسى عن جسدك والحزن عن فكرك .. ( جا ١١ : ١٠ ) إلا ما يتعلق بخطاياك وهذا كفيل أن يجعلك فى حزن مستمر . لا تكف عن العمل حتى ولو كنت غنياً لأن الكسول يكثر ذنوبه بكسله .

(١١) « لنحاسب أنفسنا فى ضوء مقاييس الكمال المطلوب وأفضل الناس هو الذى يحاسب نفسه على العمل قبل عمله أيجوز لى أن أفعل هذا أم غيره ... إلخ » عن محاضرة لقداسة البابا شنوده الثالث .

(١٢) مترجم عن : The Writings of Niciene V.13 Page 334 .

# صلاة القديس (١)

أقبل يارب توسل من عاهدك أن يرضيك فكذب ، أسألك يارب نجنى من الخطايا المحيطة بى فأصير معافى وأنهض من سرير الخطية المفسدة فإنى منذ طفوليتى صرت إناء للإثم أسمع بالدينونة ولكننى أتهاون مع أن لى خطايا وجرائم تفوق العدد . أتذمر على الآخرين إذا لم يبتعدوا عن الأشياء غير النافعة ولكنى أنا أكملها مضاعفة . ويل لى أى خزى قد حصلت ، ويل فإن باطنى ليس كظاهرى فإن لم تدركنى رأفتك سريعاً فليس لى من أعمالى رجاء للخلاص ، أتكلم عن الطهارة وفكرى فى الفجور ، أقول عن عدم الخطية وفىَّ يوجد الميل نحوها ليلاً ونهاراً فبأى وجه أتقدم إلى الإله العارف مكنونات قلبى ، ماذا أنتظر أنا ومثل هذه الذنوب الكثيرة موضوعة علىَّ . أنا أثق برأفتك يارب أن تعتق قلبى من الخطية فقد عمى قلبى وأظلم ذهنى فلهذا يارب أطلب إليك أن لا تطرحنى مع القائلين يارب يارب ولا يعملون مشيئتك ، بشفاعة الذين أرضوك لأنك أنت العارف جراحات نفسى . اشفنى يارب فأبرأ ، وأعطنى أنا العطشان من ينبوع الحياة الذى معك . أنر قلبى يا من يضىء لكل إنسان آت إلى العالم ، وأرشدنى أنا الضال إلى طريق الحياة قبل أن أجتذب مع فاعلى الإثم ، لأن الخطية لم تترك فىَّ عضواً واحداً صحيحاً أو حاسة لم تفسدها . والموت على الأبواب ولست أفكر فيه .

فإليك أطلب يا طبيب الأنفس أنظر إلىَّ أنا السقيم ، أيها الراعى أنظر إلىَّ أنا الضال ، أيها الملك أنظر إلىَّ أنا الأسير لأنال الخلاص من الخطايا المحيطة بى . وهبنى عوض الجهالة معرفة لأنه لا يصعب عليك شىء لأنك فتحت فى البحر مسلكاً وأجريت الماء من الصخرة الصماء .. خلصت الواقع بين اللصوص فخلصنى أنا الواقع فى الخطايا فليس لى دالة لديك يا فاحص القلوب والكلى ، ولا يستطيع أحد أن يشفى أوجاع نفسى إلا أنت العالم أعماق قلبى ، فلذلك أقرع الآن لتفتح لى ... جردنى يارب من كل عمل خبيث قبل أن يدركنى الموت حتى أجد نعمة أمامك فى ساعة الوفاة ، وأكون أهلا لملك سماواتك لكى إذا حصلت على السرور الذى لا ينطق به أقول : المجد لمن خلص نفساً مغمومة من فم إبليس وجعلها فى جنة النعيم برأفته ورحمته إلى الأبد آمين .

(١) عن كتاب أمام عرش النعمة ( ص ٧٥ ، ٧٦ ) .

الفصل الثالث :

# تذكر الموت والدينونة

هنا يستجيب لنا و يغفر ويمحو آثامنا . هنا التعزية وهناك (١) الدينونة هنا التأنى وهناك الشدة ، هنا الراحة وهناك الضيق ، هنا إمتلاك السلطة على الذات وهناك مجلس القضاء ، هنا التمتع وهناك العذاب ، هنا الضحك والتهاون وهناك النار الأبدية ، هنا التزين وهناك الشقاء ، هنا التصلف وهناك التذلل وصرير الأسنان ، هنا الخدور المذهبة وهناك الظلمة المدلهمة .

وإذ عرفنا هذا أيها الأحباء فلم نتوانى فى خلاصنا ، ولم تحل لنا محبة الأشياء الأرضية ولم نتهاون فى دموعنا والوقت ملك لنا ولكنه قليل .

إنه بالتوبة يغفر الله لنا سائر خطايانا . ابك ههنا قليلاً لئلا تبكى هناك إلى أبد الدهور فى الظلمة الخارجية ، صر ههنا مستيقظاً لئلا تلقى هناك فى النار التى لا تطفأ ، ابك ههنا وتضرع عن خطاياك فتصير لك التوبة خالصة .

لقد خاطبتكم بهذا ولست فى حياتى أسلك بالطهارة لكننى بألم وحزن ناظراً بذهنى ما هو عتيد لنا وأنا فى النوم والتوانى . إننى يا أخوتى نجس وموافق بأفكارى وأعمالى ، غير عارف فى ذاتى شيئاً صالحاً البتة لكننى الآن فى استرخاء وخاطىء بنيتى وقواى ، هذه الأقوال أقولها من أجل محبتى لكم لأن الحزن يحوط قلبى دائماً من أجل **دينونة الله الرهيبة** لأننا متهاونون دائماً ونحسب أننا سنعيش فى هذا العالم الباطل إلى الأبد لكن هذا الدهر يعبر وكل ما فيه ! ونحن يا أحبائى سنطالب بالجواب عن هذه الأمور لأننا نعرف ما هو نفيس لأنفسنا ونفضل ما هو ردىء ، بل **ونستهين** بمحبة المسيح الإله وملكه ونكرم ما هو أرضى . إن الذهب والفضة لا تنقذنا من النار المرهبة ، والثياب والتنعم يكونن لدينونتنا ، الأخ لن يفدى أخاه ، والأب لن يفدى ابنه لكن **كل أحد يقف فى موضعه : فى الحياة أم فى النار .**

كثير من الصديقين زهدوا هذا العالم بإختيارهم إذ تاقوا إلى المسيح وأكرموه كثيراً فلذلك هم فى كل حين مبتهجون ومضيئون بالمسيح ، والثالوث القدوس يبتهج بهم ورؤساء الملائكة والناس فى كل وقت يطوبونهم فوهب له الإله القدوس ملكه

---

(١) ميمر «١٠» عن المخطوطة ٢٠٠ ميامر دير السريان بتصرف .

وسيعطيهم مجداً أعظم ! إذ يبصرونه مع الملائكة والقديسين كل حين بسرور .

لقد خلقك الله بفهم وتمييز فلماذا تماثل البهائم الفاقدة النطق .؟!

عد إلى نفسك أيها الإنسان ، وانظر أنه من أجلك نزل الإله من السماء ليرفعك من الأرضيات إلى السمائيات ، قد دعيت إلى الختن السمائى فلم تتهاون ؟ قل لى كيف يمكنك أن تذهب إلى العرس وليس لك حلة العرس ؟ وغير ممسك مصباحاً وإن دخلت بتهاون سيقول الملك لغلمانه أوثقوه من يديه ورجليه وأطرحوه فى أتون النار حيث العذاب الأ بدى .. إذ سبق أن جئت ودعوت الجميع إلى عرسى وقد احتقر هذا دعوتى ، واستهان بمملكتى ولم يعد لباس العرس ...

ألا ترهب أيها الإنسان هذا ؟.. وأما علمت أن كافة البرايا ستمثل أمامه حين مجىء ذلك الملك السماوى ... قوموا وأبصروا الرب الذى يشبع النفوس والذى أحببتموه وتألمتم من أجله ! تعالوا وافرحوا معه حيث لا ينزع أحد فرحكم ، هلموا فتمتعوا بالخيرات التى لم تبصرها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على بال إنسان ما أعده الله « للذين يحبونه » (٢) .

فمن يعطى لرأسى مياهاً كثيرة ولعينى عيناً نابعة دائماً دموعاً مادام لى وقت تنفع فيه العبرات فأبكى على نفسى النهار والليل ..!

اتخذ فى كل وقت فى عقلك خشية الله متذكراً اليوم الأخير (٣) المخوف حين تضطرم السموات وتنحل وتحترق الأرض وكافة ما بها .

تتساقط النجوم ، والشمس والقمر لا يعطى ضوءه ... حينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً فى سحابة بقوة ومجد كثير (٤) ... تصير الزلازل والبروق .. التى لم تصر قبلاً مثلها .. حتى أن قوى السموات يشملهم الرعب والرعدة .. فكيف سبيلنا أن نكون إذاً يا أخوتى وأية رعب يكون لنا ؟.

---

(٢) ( ١كو ٢ : ٩ ) .

(٣) عن المخطوطة ٢٠٠ ميامر - ميمر ١٨ بتصرف .

(٤) ( لو ٢١ : ٢٥ - ٢٧ ) .

تأمل بنى إسرائيل فى البرية إنهم لم يستطيعوا أن يحتملوا الضباب الشديد وصوت المتكلم فى وسط النار.. مع أنه لم يخاطبهم بسخط. فاسمع يا أخى إن كانوا لم يحتملوا هذا حين لم تلتهب السموات ولم تنحل الأرض وتحترق عناصرها ولم تضرب الأبواق فتنبه الراقدين ولم يصر شىء من الخوف العتيد أن يكون.. فماذا تصنع عندما يجىء برعدة ويجلس بمجد على عرشه و يستدعى جميع الأرض من مشارق الشمس إلى مغاربها ليجازى كل واحد عن أعماله ؟.

و يلى ثم و يلى كيف سبيلنا أن ندخل عراة ونمثل أمام هذا الموقف الرهيب ؟.

أين حينئذ ذلك الجمال الزائف وغير النافع ؟ أين تلذذ الناس بالخطايا ، أين الدالة الفاقدة الحياء ؟ أين التزين بالثياب ؟ أين لذة الخطية النجسة ؟ أين الذين كانوا يشربون الخمر على الأغانى ولم يعاينوا أعمال الرب ؟...

أين العائشون بالتوانى والنفاق ؟ أين التنعم والتلذذ .؟ كل تلك عبرت وانحلت . أين حينئذ محبة الفضة وأين حب الاقتناء ؟ أين حينئذ الكبرياء والغطرسة الرافضة للجميع والتى تحسب ذاتها وحدها أنها شىء .؟

أين وقتئذ المجد الباطل ، أين التمرد ؟ أين الملك ؟ أين الرئيس ؟ أين المدبر ؟ أين السلطان ؟ أين المتنعمون والمتهاونون ؟.. إنه هناك يشملهم الفزع المرعب .

أين حينئذ حكمة الحكماء الباطلة ؟.. و يلى ثم و يلى أين الحكيم أين الكاتب أين مباحث هذا الدهر . (*) .

يا أخى ردد الفكر كيف سبيلنا أن نكون حينئذ عندما نطالب أن نؤدى جواباً عن أعمالنا واحدة فواحدة كبيرة أم صغيرة.. أمام القضاء العادل ! كيف يكون حينئذ الفرح الذى لا يوصف للذين يقول لهم الملك « تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » حينئذ تأخذ ملكاً وتاجاً حسناً بهياً من الرب وتملك مع المسيح بل وترث الخيرات التى أعدها للذين يحبونه وتكون هناك بلا هم ولا حزن ..!

تفكر يا أخى فيما هو ملك السموات مع المسيح فيكون لك نوراً أبدياً حيث لا

(*) (١كو١ : ٢٠) .

تكون شمس ولا قمر.! **فأنظر أى مجد قد أعطى للذين يتقونه ويحفظون وصاياه.**؟! ثم تفكر فى هلاك الخطاة إذا مثلوا أمام القاضى العادل حيث لا يكون لهم عذر. أى خجل يشملهم عندما يفرزوا عن يساره وبغضب يقول لهم « أنصرفوا عنى إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته » (٦).

ويلى ويلى أى نوح يكون لهم ليعذبوا إلى الدهر الذى لا نهاية له. ويلى كيف يكون بكاؤهم وصرير أسنانهم؟ ويلى كيف هى نار جهنم؟ كيف الدود الذى لا ينام والنفاث بالسم؟ ويلى ويلى أية شدة هى تلك الظلمة الخارجية.. إنهم يصرخون وليس من يخلصهم ولا من يستجيب لهم. حينئذ يصرخون: **باطلة هى كل أمور العالم!**

أين حينئذ اللذة الكاذبة للخطية إذ لا توجد لذة إلا فى مخافة الرب ومحبته المحبة الحقيقية التى تملأ النفوس وتشبعها كأنها من شحم ودسم! إنهم يقولون معترفين فى ذاك الوقت إننا سمعنا بهذا ولم نرجع عن أعمالنا الرديئة ولا ينتفعوا شيئاً بقولهم هذا...

ويلى ويلى أنا المقبوض بخطايا أكثر من رمال البحار وقد أنحنيت تحتها بأغلال من حديد كثيرة وليست لى دالة أن أبصر وأتفرس فى علو السماء **إلى من ألتجىء إلا إليك أيها المحب الإنسان** والمحتمل نقائصه « اللهم أرحمنى (٧) كعظيم رحمتك ومثل كثرة رأفاتك أمح آثامى فإن خطيتى أمامى فى كل حين إذ لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت » ولكثرة تعطفك أعرض عن خطاياى من أجل اسمك القدوس، ليس لى عملاً صالحاً لكننى أطرح ذاتى أمام رأفاتك لتعطنى قلباً نقياً فأتعبد لك منذ الآن وكافة أيام حياتى إذ تسبحك كافة القوات السمائية!.

أيها الأخوة تعالوا كلكم واسمعونى أنا الحقير أفرآم (٨) فنجلس فكرنا قاضياً

---

(٦) ( مت ٢٥ : ٣١ - ٤٦ ) .

(٧) ( مزمور ٥١ ) « مزمور التوبة والانسحاق » .

(٨) عن ميمر ٣٥ بتصرف .

ليتأمل قلبنا ، إن كنا سالكين كما تقول الكتب الإلهية أم نجحد الروح القدس الذى به ختمنا . فإن شاهد أحدنا فى ذاته شيئاً من النقص فليحرص أن ينمو بتواضع النعمة التى أخذها من ذلك المحب للناس ! ، وإن كنا ملومين بالخطايا فلم نضجع أيها الأخوة التائبين إلى المسيح لأنه هوذا أتى اليوم المرهوب الذى فيه تظلم الشمس وتتساقط النجوم وتنطوى السماء كالدرج ، ويضرب البوق العظيم بصوت مرعب ، فيوقظ الموتى جميعهم وينهدم الجحيم ويجىء المسيح على السحب مع ملائكته القديسين **ليدين الأحياء والأموات ويجازى كل واحد كأعماله** .

بالحقيقة إنه لمرهوب جداً ذلك المجىء لأنه عجيب يا أحبائى أن نبصر السماء مفتوحة والأرض متغيرة والموتى قيام .. فالأرض تسلم جميع ما فيها وكذا ما أفترسته الوحوش أو ما أكلته الطيور... إذ الكل يأخذ جسداً آخر وحسب أعماله فأجساد القديسين تلمع أكثر من الشمس أضعاف أما الخطاة فتوجد أجسادهم مظلمة وموعبة نتناً ، ويصير فحص أعمالنا بشدة الكلام أم الأفكار.. الخ . هذه تصبح ظاهرة أمامه يبصرها جميعها . فلنجاهد يا أخوتى أن نقلت من التعير والحزى المرهوب الذى لكافة الخطاة وأن نصير مشاركين تلك الخيرات التى أعدها الله للذين **يحبونه** .. تلك التى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها .

تأتى الملائكة فتخطف كافة القديسين بمجد لإستقبال المسيح فلنحرص يا أخوتى أن نكون مستحقين لذلك الاختطاف .

« لا نضجع أيها الأخوة المحبون للمسيح مادام لنا وقت » بل لنحرص أن نغلب آلام الجسد والنفس .

هلموا يا أخوتى وأسمعوا مشورتى أنا أفرآم (٩) الخاطىء والفاقد الأدب فها قد أتعرب يا أحبائى ذلك اليوم المخوف ونحن فى التوانى والتنزه غير مؤثرين أن نتفطن فى عبور هذا الزمان اليسير ونحرص أن يغفر لنا الله . **فها الأيام والشهور والسنين تعبر كالمنام** .. ومثل ظلال المساء ليوافى مجىء المسيح المرهوب العظيم لأنه بالحقيقة مرهوب للذين لم يؤثروا أن يعملوا مشيئة الله ويخلصون .

(٩).عن ميمر ١٧ .

فأتضرع إليكم يا أخوتى هلموا فلنطرح عنا الاهتمام بالأمور الأرضية لأن كافة الأشياء تزول وتفنى، وليس ما ينفعنا فى تلك الساعة سوى الأعمال الصالحة التى اكتسبناها هنا، لأن كل واحد يحمل أقواله وأعماله قدام قضاء الحاكم، القلب والكليتان ترتعدا حين يصير فحص الأعمال والأفكار..

خوف عظيم يا أخوتى، رعدة عظيمة يا أحبائى. من ترى لا يرتعد، من ترى لا يبكى، من ترى لا ينتحب إذ هناك تظهر الأعمال التى عملها كل أحد فى الخفاء والظلمة. أفهموا يا أخوتى هذا المعنى.. الأشجار المثمرة من باطنها فى أوان الأثمار تبرز الثمر مع الورق، تكتسى من خارجها بجمال وحسن وبهاء لكن من باطنها تغطى كل واحدة ثمرها حسب طبيعتها. هكذا فى ذلك اليوم المرهوب يبرز كافة الناس وتظهر أعمالهم إن كانت صالحة أم شريرة، وكل واحد يحمل ثماره (أعماله) وأوراقه (كلامه) **فالقديسون** يحملون الثمر الغض نضارته، **والشهداء** يحملون فخر صبرهم على التعاذيب، **النساك** يحملون النسك والمسكنة. الحمية، السهر، الصلاة، **والناس الخطاة** المنافقون والدنسون يحملون ثمراً قبيحاً، ويكونون مرعبين خزياً وعبرات ودود لا يرقد فى النار التى لا تخمد، مهول يا أخوتى مجلس القضاء هناك لأن كافة الأشياء بغير شهود تظهر الأفعال، الكلام، الأفكار.. ومحضر الماثلين هناك ربوات ربوات، وألوف ألوف رؤساء ملائكة وملائكة، الشاروبيم والسارافيم، الصديقين والقديسين، الأنبياء والرسل، الجماهير التى لا تحصى.

فَلِمَ نتوانى يا أخوتى الأحباء فإن الأوان قد حان، واليوم قد بلغ حين يظهر الحاكم المرهوب مكتوماتنا إلى النور، فلو عرفنا ما قد أعد لنا يا أخوتى لبكينا كل حين فى النهار والليل، متضرعين إلى الله أن ينجينا من ذلك الحزى والظلمة المدلهمة لأن فم الخاطىء ينسد أمامه والبرية كلها ترتعد وكذلك تتزعزع القوات السمائية من ذلك المجد وقت مجيئه.

« ماذا نقول له يا أخوتى عن توانينا فى ذلك الوقت يوم الدينونة ؟ » إنه يتمهل ويجذبنا كلنا إلى ملكه وسيطالبنا بجواب عن هذا التوانى الذى لنا فى ذلك الزمان اليسير، فيقول لنا بذاته إنى من أجلكم تجسدت من أجلكم مشيت على الأرض جهاراً، من أجلكم جلدت، من أجلكم بُصق علىَّ، من أجلكم لُطمت، من أجلكم

صُلبت مرفوعاً على خشبة، من أجلكم أنتم الأرضيين سُمّيت خلاً لكيما أجعلكم قديسين سمائيين، وهبت لكم الملك الذى لى، أعطيتكم الفردوس وسميتكم كلكم أخوة لى! وقربتكم إلى الآب وأرسلت إليكم الروح القدس. فأى شيء أكثر من هذا لم أصنعه لكم لتخلصوا؟!

فولوا لى أيها الخطاة والمائتون ما أصابكم من أجل السيد المتألم من أجلكم؟. ها قد استعد الملك فبحسب ما يسلك كل واحد يعطى.

ضع نفسك تحت نير الناموس حتى تصير حراً بالحقيقة (١٠)، لا تتمم مشيئة نفسك منفصلة عن حد ناموس الله، لابد أن أكتب الكثير من الوصايا وأن أحضر العديد من الشرائع التى يمكن أن تتعلمها من نفسك إذا كنت تسعى إلى تحرير نفسك، وإذا كنت تحب النقاوة فلابد أن تقوم بتعليمها لآخرين أيضاً، لتكن الطبيعة هى كتابك الذى تقرأه، والخليقة كلها جداولك وتعلم منها الشرائع والناموس وتأمل المعرفة غير المكتوبة. الشمس فى مدارها تعلمك الراحة من العمل والتعب، الليل فى سكونه يعلن لك أن هناك حدوداً.

الصديقون تكون الدينونة (١١) نصب أعينهم دائماً، كما أنه معد للناس أن يموتوا مرة واحدة ثم الدينونة. لذلك يطلبون ليلاً ونهاراً سائلين أن ينجوا من نار جهنم ومن العذاب الأبدى وأن يؤهلوا مع الملائكة وأما المنافقون فذكر الموت عندهم هو شيء ساذج مجرد لأنهم لا يجتهدون خائفين من الأمور التى بعد الموت بل ينتحبون على فقدهم الملذات ومفارقتها.. إذ يكملوا القول «نأكل ونشرب فإننا غداً نموت» ولا يهتموا بما ينفعهم بل يجمعوا بأيديهم ما لا ثمر له ... والذين يحبون الثروة الأرضية فكافة عمرهم مشتغل بالرجاء الباطل، وبقدر ما يتسامى فى الغنى بقدر ما تنمو لديه مخافة الموت كثيراً.. ليس من أجل جهنم وحكم الله العادل لكنهم يتحيرون فى أنفسهم نائمين على ثروتهم قائلين ترى من يرث بعدنا، ومن يكون صديقاً للملوك ومن يرث

---

(١٠) مترجم عن :

The Writings of Nicene and Post Nicene Fathers Vol 13 - Page «335»

(١١) عن ميمر (٤٤).

المملكة بعدهم ؟..

ترى من يتملك هذا الذهب والفضة ؟ ترى من يستخدم هذه الآلة الذهبية ؟ ترى من يرث الحلل المذهبة ؟ من يركب الخيل المنتخبة المذهبة لجمها ؟ ومن يتقدم كثرة الغلمان ؟.. من يسكن فى المجالس التى وشيتها أنا باهتمام الرخام والتى زخرفت أرضها بالفصوص المذهبة وسقفها بالذهب ؟.. ترى من يخدم أصحاب الموائد والسقاة ؟ ترى لمن تمثل الخدم الذين يخدمون من يضجع على الأسرة المفضضة ، و يستعملون الأطعمة التى أطايبها من الهند ؟ من يستعمل الغلات الجيدة التى من الحقول والثمار الأولى التى للبساتين ؟.. من يصير خلفاً يتولى خزائن السلاح .. والمركبات والخيول ؟

وإذا شدت أفكاره إلى جهات أخرى كثيرة ولا يجد من يلجأ إليه يتنهد ثم يعود أيضاً للاهتمام بالأرضيات غير مهتم أن يكنز لنفسه فى السموات شيئاً !...

فإذا نال نهاية مأثوراته من توفر الغلات والبهائم وبهاء مرتبته ، وشهامته فى الحروب ... فحينئذ ذكر الموت يزعج قلبه فإن ضعفت أعضاؤه بالشيخوخة ولم يستطع أن يخدم اللذات حينئذ يحقد على الحياة ، وإن كان جافياً متصلفاً يبعد ذكر الموت بإفراط الرفاهية . إنه يضاهى المريض الذى يتظاهر بالصحة ، و يأكل الأغذية التى تضاد المرض و يظن أنه بها يزيل المرض .. لكن المرض قد شاع فى أعضائه .. وإذا فرح بمعاينة الجمال فليفكر فى إنتظار النوح وأن هذا الجمال يزول و يصير عوض هذا الحسن الظاهر الآن عظام مرفوضة منتنة ..

المتوانون والمتهاونون تنقضى أيامهم فى ظلمة الخطية ظانين أن ساعة الموت بعيدة عنهم فيماثلون الذين يمشون فى ظلمة الليل إذ يظنون أن الموضع الذى يطلبونه بعيداً عنهم ..

« والذى قد تأمل بعين نفسه الصافية طغيان هذا العالم وصار على سمو من تلك الأشياء التى ها هنا فإنه يتفطن دائماً إن أكل ، وإن شرب ، إن رقد ، وإن عمل ... تستأنفه الطبيعة كل يوم وكل ساعة إلى نهاية العمر الوقتى فلذلك يعرض عن الأشياء كلها كأنها مثل كناسة تلقى فى سلة المهملات فيحرص أن يبعد ذاته عن كل مرثاة العالم والتألم له .. فمن يعقل المعقولات العلوية والمتسامى سعيه إلى الله فذلك على

سمو منها . ساعياً بكافة قوته وراء الفضيلة لأنه ليس أكرم منها قدراً إذ تجعل الناس أحباء الله فكافة الذهب فى عينها تحتقره كالرمل ، والفضة قدامها تحسبه كالطين ، لا يضمرها الشقاء ، ولا يكمد نورها الموت المرهوب عند كثيرين فالذين قوموا الفضيلة بدالة يهتفون مع القائل « لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً » (١٢) .

إذا تركنا أعمال الأمم فلا نعود إلى الأشياء التى ورآء (١٣) أى التى قد مضت ونعملها أيضاً ، قد جحدت الشيطان وملائكته دفعه ووقفت أمام المسيح بحضرة شهود كثيرين . فانظر أمام من وقفت وتعهدت ولا تستهن به واعلم هذا أنه فى تلك الساعة كتبت ملائكة أقوالك وتعهداتك وخضوعك وخبأوها فى السموات إلى يوم الدينونة الرهيب . فى ذلك اليوم يحضر الملائكة كتاب الوثيقة التى عليك وكلمات فمك يوم المقام المرهوب حيث يقف الملائكة مرتعدين وحينئذ تسمع الصوت المعطى الويل أيها العبد الخبيث من فمك أدينك « بالحقيقة إنك تتنهد حينئذ تنهداً مريراً وتبكى فى تلك الساعة ولا ينفعك شىء (١٤) .

ارحم نفسك ولا تبغض ذاتك افتح عينك وأبصر كيف أن قوماً كثيرين يجاهدون ، كيف يحرصون أن يخلصوا ، كيف يتعبون ذواتهم فى كل عمل صالح ، كيف قد أعدوا مصابيحهم بهية ، كيف يسبح فمهم كل حين ، وعيونهم متأملة جماله ونفوسهم مبتهجة .

الويل منك أيها الموت فإنك أنت الغريم الذى لا يقضى ، والمستقر الذى لا يرد ، والسارق الذى لا يستحى ، والمتسلط الذى لا يخاف والرسول الذى لا يتأخر . ما أمر كأسك ، وما أفزع لقائك ، وما أرهب رؤيتك ، وما أشد هيبة منظرك ، وما أثقل

---

(١٢) ( فيليبى ١ : ٢٣ ) .

(١٣) عن المخطوطة ٣١٨ ميامر ، وكتاب دموع التوبة للقديس مارأفرآم السريانى- يوسف حبيب ص ٢٣ ، ٢٤ .

(١٤) يقول ذهبى الفم « مهما كانت خطايانا يمكن غسلها بالتوبة أما عندما نرحل فلا تنفعنا أعمق توبة » عن الحب الرعوى للقس تادرس يعقوب ص ٣٤٥ .

قدومك ، وما أكره شبهك ، وما أشد ساعة مجيئك حول الإنسان ، الويل لمن لا يستعد قبل نزولك به ، والويل لمن يغفل و يتوانى حتى تأتى ساعتك .

طوبى لمن يجهد نفسه فى صلواته قدام الله من قبل حضورك إليه (١٥) .. طوبى لمن حرص فى شفاء سقمه ومرضه مادام هو فى الدنيا ، الموت يا أخوة أفضل من حياة الدنيا فى الخطايا والذنوب ..

كيف ندفن الموت ولا يرعبنا الموت ؟ إن ذلك لقساوة قلوبنا وترك وصاياه ، ثم أننا ننسى ونتهاون بذلك ولا نبالى ، فالآن يا أخوتى ينبغى أن ننظر الموت .

ونقول : أين من كان بالأمس معنا وها اليوم آخرون يحملونه إلى القبر ؟!

أين الملك الذى صار صنماً لا يبصر ولا يسمع ولا يقدر أن يدفع جواباً عن نفسه ؟

أين الذين كانوا فى النعيم واللذة وصار نعيمهم إلى لا شىء ؟ .

أين الجميل الوجه الذى صار منظره بشعاً لمن يراه ؟ .

أين القوى والذى كان قد ظفر وغلب ؟

أين الصورة الحسنة التى قد فسدت وتلك الأعضاء التى تعظمت ؟ .

أين الرأى الملتمس والكلام الذى قد بطل وذلك الجسد المنحل ؟ حيث لا فرق بين عظام الملوك وعظام الفقراء ! .

فالآن يا أخوة لنهتم بأمر الموت ونترك عنا كل شر ونعمل الصلاح والخير دائماً ... ونحرص أن نكون فى طاعة الله ، وحفظ وصاياه ، وفعل محبته ، ونتذكر الموت ، ونتنظر إلى الميت فنجد فمه مغلقاً ولسانه معتقلاً . فلنتضرع قبل أن ينزل بنا فجأة يا أخوة لابد من شرب كأس الموت المر ولذا ينبغى لنا أن نكون مهيئين لتلك الساعة الشديدة ونبعد عنا الضحك والهزء والمزاح والإعجاب والصلف والعظمة ، ونحرص فى إقتناء الاتضاع والزهد ونفزع ونخاف ونقول : **أين الذى نصب نصبه ( غرسة ) ومنه لم يأكل ؟!**

---

(١٥) عن المخطوطة «١٨١» نسكيات - دير السريان - بتصرف .

أين الذى أسس وبنى وفى منزله لم يثبت ؟ .

أين الذى ربط بيديه ولم يحل ما ربط ؟!.

أين الذى عمل وربح ومنه لم ينتفع لأ بديته وصار ما له لأخوته ؟!

أين الذى كان يحرص ويجتهد ويحتال وصار منه غريباً ؟ فالموت كان يطرق بابه ؟

أين الذى أهلكه التعب والحرص فصار كده وسعيه لغيره ؟

أين الذى كان يدخل ويخرج فإنه خرج ولم يدخل ؟ ؛

أين الذى كان يشيع آخرين فصار مشيعوه ينصرفون عنه وهو ليس معهم ؟!

أبوك الذى ولدك يدعوك إلى القبر وينصرف عنك ، وأمك التى ولدتك وربتك وكانت تحبك تجعلك فى القبر وتنصرف عنك ! وكذلك أختك وأصدقاؤك الذين كانوا عندك كنفسك فإنهم إلى القبر يصحبونك ويحزنوا ، فإذا غلق القبر أنصرفوا ونسوا صحبتك القديمة التى كانوا عليها كقول داود النبى « نسيت من القلب كالميت » فلذلك يا أخوتى ينبغى أن نتنبه ونخشى الرب ونحرص لطاعته ورضاه فإن كل شىء يذهب ويبطل والرب دائم إلى الأ بد ، ينبغى أن نتفكر الموت .. ونشكر الرب الذى أمات الموت .

ينبغى أن نتنبه فى أمر الموت : فمن كان سيداً على ما يملك ويحكم فيه كيفما شاء صار مرفوضاً كحيوان ميت ، وقد صار هذا الإنسان غريباً عن جميع ما يملك وصار كده وسعيه إلى غيره من ذوى جنسه ، وصار غريباً عن أهله وأحبائه ، وليس لأهل الميت يا أخوة إلا أن يسرعوا بإخراجه من منزله فى حزن حتى يدخلوه القبر ثم يدعوه وحده وينصرفوا وهو نفس مصير غيره عند نزول الموت .

فأين الذى تعب ولم يبق حتى ينظر إلى نتيجة تعبه ؟ ماذا انتفع حيث تركه لغيره وانصرف عرياناً ؟!

فتفكروا فى الذين قبرتموهم وأحذروا مما نزل بهم قبل نزوله بكم .

الروح القدس (١٦) يوضح للإنسان ما هو الطريق الصالح وما هو الطريق غير الصالح .. حتى إذا ما عرف الإنسان مجازاة كل منهما يهرب من الشر فإن كان يعرف ولا يهرب فأى عذر له فى يوم الدينونة ؟

لقد تذكرت تلك الساعة الرهيبة وأرتعدت ، وتأملت تلك الدينونة (١٧) المفزعة فانذهلت للسرور الذى فى الفردوس فبكيت وتنهدت حتى لم يبق فىَّ قوة لأ بكى لأن أيامى قد عبرت فى التوانى والتنزه ، وفى الأفكار الدنسة أكملت سنى حياتى .. كيف سرقت ولم أعلم وكيف عبرت ولم أحس . أيامى فنيت ومآثمى تكاثرت . ويلى ويلى يا أحبائى ماذا أصنع لحرّى تلك الساعة إذا التف حولى الذين يطوبونى وأنا من داخل مملوء إثماً ونجاسة متناسياً الرب الفاحص القلوب والكل ...

أيها الصالح .. ترآف علىَّ .. أعطنى بكاء وتخشعاً دائماً ، ولقلبى تواضعاً وطهراً ليصير هيكلا لنعمتك المقدسة .

يا أخوتى الأحباء أتضرع إليكم أن تحرصوا على إرضاء الله . ابكوا قدامه نهاراً وليلاً فى صلواتكم وتسابيحكم لينقذكم من ذلك البكاء الذى لا ينقضى ومن صرير الأسنان ومن نار جهنم ومن الدود الذى لا ينام ، ويفرحكم فى ملكوته بالحياة حيث يهرب الوجع والحزن والتنهد ، وحيث لا يحتاج أحداً دموعاً ولا توبة ، وحيث لا رعدة ولا خوف ، وحيث لا يوجد المحارب والمعاند ، حيث لا خصام ولا سخط .. لكن الفرح والسرور الدائم والمائدة الروحانية التى أعدها الله للذين يحبونه . فمغبوط بالحقيقة من يؤهل لها وشقى من يتركها .

أطلب إليكم يا أحبائى أن تصلوا لأجلى .. ليصنع معى رحمة .. اتفضوا لى من فتات موائدكم فيتم القول « الكلاب أيضاً تشبع من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها » (١٨) .

---

(١٦) عن ميمر ٤٢ المخطوطة ٢٠٠ ميامر قول «٥٠» .

(١٧) ميمر ١٠ عن المخطوطة ٢٠٠ ميامر - دير السريان العامر .

(١٨) ( مت ١٥ : ٢٧ ) .

فلنحرص يا أختى لأجل حياتنا فإن الأشياء كلها تعبر كالظل ، ولتبغض العالم وكل الاهتمام البشرى .. « إذ ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى فداء عن نفسه » (١٩)

أيها الحبيب ، تأمل فى كل صباح ومساء كيف تتجر ، وفى كل عشية أدخل إلى قلبك ، وتفكر فى ذاتك قائلاً أترانى أغضبت الله فى شىء ؟ أترانى تكلمت كلمة بطالة ؟ أترانى أغظت أخى ؟ أترانى تخيل ذهنى أمور العالم وشهواته وقبلتها بتلذذ (٢٠) .

تنهد وابك وفى الصباح ادرس الوصية ، وقل كيف أمضيت هذه الليلة ؟ هل ربحت تجارتى ؟ هل دمعت عيناى دموعاً حين أحنيت ركبتاى أم جاءت إلىَّ أفكار خبيثة ؟ .

« أحذر أن تدفع ذاتك إلى التوانى .. أنظر إلى النحلة » وأبصر سرها العجيب كيف تجمع رحيقها من الأزهار على إختلاف أنواعها ، فإن اجتمع كافة حكماء الأرض لما استطاعوا أن يصنعوا حكمتها إذ كيف تدفن أولادها فى خلاياها وحين يخرجون يستمعون كلهم إلى صوتها و يتطايرون كما يأمر الرئيس قواده وتملأ مكانها من أطعمتها الحلوة ( عسل النحل ) فأية حكمة وهبت لتلك الحشرة الصغيرة ... فأبصر أنت يا حبيبى مثل تلك وأجمع لنفسك من الكتب الإلهية غنى وكنزاً لا يسلب .. وكما يرسل الرئيس غلمانه قدامه إلى البلد التى يسافر إليها هكذا أرسل أنت غناك إلى السماء لتقبل فى مساكن القديسين ولا تتوان فى هذا الزمان القصير...

الوجه المغسول بالدموع مع قلب نقى له ذلك الجمال الذى يلمع أكثر من الشمس بين يدى الله والقديسين !.

---

(١٩) ( مت ١٦ : ٢٦ ) .

(٢٠) تأمل : الذى كان يطأ الأرض بقدميه قد وطأته الأرض وطوته تحتها والذى كنت تخشاه... قد نزل حفرة ضيقة وانهالت عليه الأتربة وتغطى بالرمال ! (عن كتاب سر التقوى للأستاذ حبيب جرجس ص ٣٩٩) .

أحرص أن تقتنى الفضيلة التامة الموشاة بكافة المناقب التى يحبها الله ولا تعمل بقريبك سوءاً... إن كافة الفضائل مثل تاج الملك و يصير غير تام إن كان ينقص إحداها.. «الفضيلة إذا ربطت بأحد الأمور الأرضية تموت» وتنقسم وتهلك ولن يمكنها الإرتقاء إلى أعلى إذ سمرت بأمر أرضى، فلتتنهد وتبك عليها إذ بعد أن ارتفعت إلى السماء و بلغت باب الملك بنفسها لم تستطع أن تدخل مثل أناس قوموا الفضيلة بربوات أتعاب ووشوها مثل تاج الملك فلما أرتبطوا بأمر أرضى وقفوا خارج الملك السمائى. فاحذر لئلا تدفع ذاتك للعدو وتنقض الفضيلة التى أقتنيتها بأتعاب جزيلة... فحرك ذاتك وانهض وأقطع تلك الشعرة الحقيرة لئلا يستهزأ بك مثل شمشون الجبار... أصغ إلى ذاتك وكن مثل غواص يغوص فى العمق ليجد الدرة الثمينة.. فإذا وجدها يصعد بها إلى أعلى المياه وهو عار، هكذا أنت جرد ذاتك من جميع أدناس العالم وألبس هذه الفضيلة وتزين بها وتيقظ ليلاً ونهاراً (٢١).. إذ مثل تلك النفس لا يكون لها محبة لشيء آخر غيرها. وهكذا تنمو أكثر وتكلل وتنجح لدى الله دائماً بل و يتباهى جالها وإذا خرجت من الجسد يبتهج بها الملائكة و يدخلونها إلى أبى الأنوار إله المجد المتعطف وحده!..

لماذا لا تستعد ولدينا وقت (٢٢) ؟ لماذا تتهاونون بالكتب المقدسة و بكلمات المسيح أو تظنون أن أقواله وأقوال قديسيه لا تديننا فى ذلك اليوم إن لم نحفظها ونعمل بها.. قد سمعتم، قول الرب للتلاميذ الذى يسمع منكم يسمع منى ومن يخالفكم يخالفنى. وفى موضع آخر يقول من يخالفنى ولا يسمع أقوالى أنا لا أدينه لكن له من يدينه. القول الذى قلته ذاك يدينه فى اليوم الأخير...

طوبى للذين عطشوا وجاعوا فإنهم هناك سيشبعون وو يل للشباعى فإنهم هناك يجوعون و يعطشون، طوبى لمن افتقروا وبكوا فإنهم هناك يتعزون وو يل للذين يضحكون الآن فإنهم هناك سينوحون و يبكون بلا فتور، طوبى للذين رحموا فإنهم هناك

(٢١) إن الرب قد أخفى عنا اليوم الأخير لكى نستعد للموت فى أيامنا كلها (عن كتاب الاستعداد).

(٢٢) بستان الروح جـ ١ ص ٥٠ للقس شنودة السريانى ( مثلث الرحمات الأسقف المتنيح نيافة الأنبا يؤانس ).

سيرحمون وويل لمن لا رحمة لهم ...

أسأل نفسى أين سيكون مسكنى عندك ياربى (٢٣) الدهور ؟ فى ذلك الدهر العتيد بعد كمال عمرى وإنتهاء حياتى أسيكون حظر بين المتوجعين فى قاع الجحيم ؟ أم أكون بين المترفين بالسرور على أسوار أورشليم ؟ أسيكون مقامى فى الظلمة أم فى النور ؟ أفى الشدة أم فى بهجة النعيم ؟.

ضع فكرة الموت (٢٤) نصب عينيك دوماً وكلما شيعت ميتاً تذكر أنك ستشيع يوماً ، فابك إذن واندب نفسك ، وأطلب الرحمة من ربك ، مثلما تتساقط الأوراق من الأشجار هكذا يتساقط البشر من الحياة ، فكلما هبت ريح الموت ولست واثقاً من إفلاتك ، فاربح نفسك بالتوبة لتحيا حياة أبدية . إلى متى تهمل نفسك مالى أراك ممعناً فى الخطيئة وكأنى بك لن تموت ؟!

تقول وما يضير إن أخطأت فى صباى ؟ ترى ما حياتك إن خطفتك يد المنون خلسة ؟ إنك تأمل أن تتوب فى شيخوختك فهل أنت واثق من بلوغها ؟!

وقال : مررت ذات يوم بباب القبر متأملاً : فرأيت العالم فى حقيقته : رأيت العبد وسيده ، والتلميذ ومعلمه سواسية . أجل رأيت الملوك راقدين وقد نزع منهم سلطانهم !

---

(٢٣) عن كتاب السبع طلبات - دير السريان « ص ١٣٠ » .

(٢٤) عن كتاب أعجوبة الزمان أو نبى السريان - لمارأغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية وسائر المشرق - ١٩٧٤م .

## صلاة للقديس (٢٥)

أرث أرث أيها المتحنن المسيح المخلص للإبن الوحيد لعبدك البطال لئلا أكون هناك قدام منبرك واقفاً بخزى عظيم، وعار للملائكة والناس، لكن أدبني ههنا يا مخلصي كما يليق بالآب المتحنن والمحب لابنه.. وأغفر لى هناك بما أنك أنت الإله الذى بلا خطية وحدك!.

أيها المخلص إن لم تنظر إلىَّ أنا الشقى ههنا وتعطينى إستنارة قلب فأتوب فى كل وقت بلا خجل عن خطاياى فماذا أصنع هناك إذ لا عذر لى! لقد جُبلت من بطن أمى بخطيتى، ووُلدت أنا الغير مستحق رحمتك وأهلت أن أصير إناء لنعمتك ومرنماً جليلاً يرنم دائماً كلمات الخلاص لكافة المستمعين... لكن أنارت عقل نغمات ترنيمك أيها المسيح.. فمن أجل هذا أجثو أيضاً ساجداً لنعمتك أيها الإبن الوحيد مخلصى وكما صارت فى نعمتك أنا الغير مستحق هكذا أعطنى إستنارة ونصراً دائماً وفرحاً لكى تسترنى هناك تحت أجنحتها من تلك الدينونة المخوفة، وأقف عن يمينك مترفقاً برحمتك، ومسبحاً ومجداً طول أناتك أيها البارى إذ لم تعرض عن عبرات الخطاة.

لك السبح والمجد الدائم إلى الأبد آمين.

---

(٢٥) عن مجمر «١٣» بتصرف.

الفصل الرابع :

# التخشع والدموع

« صارت لى دموعى خبزاً نهاراً وليلاً »
( مز ٤٢ : ٣ )

إن الشمس قد بلغت ساعة المساء ومن أجلك تتوقف إلى أن تبلغ (١) المنزل !. فإلى متى تحتمل العدو وتكمل مشيئته فإنه يتمنى ويحرص أن يأتى بك إلى النار.

إنه دائماً يحارب الناس جميعاً بالشهوات الردية النجسة .. « ومنح الذين يدعنون له اليأس ، وقساوة القلب وجفاف الدموع لئلا يتخشع ذلك الخاطىء تخشعاً تاماً » فأهرب منه أيها الإنسان ، وأرفض مشوراته اهرب من ذلك الغاش إنه قاتل الإنسان منذ البدء وإلى المنتهى .

اسمع أيها الحبيب الصوت القائل كل وقت « تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم (٢) »

إنه يعطى الراحة والحياة فلِمَ تتوانى أيها الإنسان ؟! ولِمَ تجوز يوماً فيوماً . تقدم ولا تجزع فإن السيد صالح ومتحنن !... يشفى الجراحات و يهب الحياة دون حسد لأنه إله صالح يقبل بسهولة كافة الذين يخرون له ساجدين إذ هو الإله الأعظم الذى يسابق علمه يعرف سائر أفكارنا !. وإذا تقدم إليه الإنسان يبرأ لأنه يعاين قلبه وكافة أعماله ...

إنه إله صالح قبل أن يهمل الدموع يسكب كنوزه ، وقبل أن تتضرع إليه يصالحك ، وقبل أن تبتهل إليه تنال الرحمة .. لأن محبة الله هكذا تشتاق إلى كل من يقبل إليه . إنه لا يبطىء عن الاستماع ولا يطالبك بالزمان الذى قد مضى إنما يطلب من يخضع له فى تواضع بدموع وتنهد إذ يغفر تماماً كافة الإثم والخطية بل وكل المفوات ، و يأمر فى الحال بإحضار الحلة الأولى ويجعل خاتماً فى يده اليمنى و يأمر الملائكة أن تسر معه برجوع هذا الخاطىء (٣) .

فإذ لا نزال فى ذلك العالم نستطيع فى كل وقت أن نستعطف السيد وسهل علينا أن نبتغى الغفران ولنا أن نقرع باب تحننه فلنسكب العبرات مادام لنا وقت نقبل فيه

(٢) ( مت ١١ : ٢٨ - ٢٩ ) .

(٣) ( لو ١٥ : ٢٢ - ٢٤ ) .

الدموع قبل أن ننصرف إلى ذلك الدهر الآتى حيث لا يقبل البكاء إذ لا تحسب الدموع هناك بقدر ما تكون الآن بمشيئتنا !.

من يؤمن بابن الله تكون له حياة دائمة (٤).. إذ قال «من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى» (٥).

الخطب الكثير ينمى اللهيب ومخافة الله تكثر المعرفة فى قلب الإنسان والعمل يحقق العلم، استيقظ إذا كنت تزرع بذار سيدك لئلا يختلط به الزوان.. ولنطلب من الرب أن يعطينا معرفة وفهماً لنتيقظ فى كل شىء.

الكور يختبر الفضة والذهب و ينقيهما، وتقوى الرب تهذب الأفكار وتنقيها، مثل الصائغ الجالس إلى السندياد فهو يعمل أوانى حسنة ونافعة كذلك مخافة الرب تجرد كل فكر خبيث من القلب وتنظفه وتبرز ألفاظاً بمعرفة فلنعط مجداً لمن منحنا مخافته فى قلوبنا» «بدء الحكمة تقوى الرب» والفهم الصالح لكل من يعمل بها.. «الحكيم يحفظ وصايا المسيح» ومن يسلك فيها لا يخزى إلى الأبد ومن يملها فذلك جاهل ورجاؤه باطل، «من يحفظها جيداً فقد انتقل من الموت إلى الحياة» وما يعاين ظلاماً للأبد وفى يوم وفاته يجد دالة ونعمة وملائكة ترشده... وأساسه على الصخرة التى لا تتزعزع و يصير وارثاً للحياة الخالدة مثل هذا مغبوط لأنه عرف أن يصنع مشيئة خالقه.

« إذا ضرب البوق يستعد الجيش للحرب لكن فى أوان الجهاد ليس الكل محاربين» لا تقل عن ذاتك إنك..، ويلا عيب قدام الله فالأشياء التى نسيتها هى ظاهرة قدام الله وليس المكان يجعل الإنسان تاماً بل الإفراز!..

« **مخافة الرب** » ينبوع حياة، « **مخافة الرب** » تنقى العقل، « **مخافة الرب** » صيانة للنفس، « **مخافة الرب** » تعطى المتقى الرب نعمة فى كل تصرفاته، « **مخافة الرب** » مذيرة للنفس، خشية الرب تضىء النفس وتبعد كل ما هو خبيث، « **مخافة الرب** » تبعد الآلام وتنمى المحبة، « **مخافة الرب** » تقطع كل شهوة ردية.

---

(٤) عن ميمر «٦»، ومجلة الكرمة للأستاذ حبيب جرجس السنة الثانية عشر ص ١٧٨.

(٥) ( يو ٧ : ٣٨ ).

خشية الرب مأدبة للنفس إذ تبشرها بآمال صالحة، «مخافة الرب» تتقلد طرق السلام خشية الرب تملأ النفس من الروح القدس.

« ليس فى الناس أعظم قدراً من المتقى الرب » إنه مثل نور يرشد الكثيرين إلى الخلاص، يشابه مدينة حصينة فوق جبل، مغبوطة تلك النفس التى تخشى الرب لأنها تتقدم فتبصر أمامها القاضى العادل كل حين !..

إن أخطأ أحد إلى الله وتراخى ... فليبك (٦) باشتياق وليتنحب بلا تغويث مادام يوجد له زماناً على الأرض.. فيجلب بالدموع سروراً إلى قلبه وليحم جسمه بالدموع والزفرات...

أتراكم يا أخوتى لكم خبرة بالدموع ؟. هل أضاء أحدكم بنعمة الدموع التى من أجل الله. تيقنوا يا أخوتى «أنه ليس على الأرض أكثر حلاوة من الفرح والتخشع فى تلك الساعة إذا صلى الإنسان وجلس الإله فى قلبه دائماً !.» وأختبر هذا حين صلى بارتياح وشوق فارتفع من الأرض وصار بجملته خارج الجسد بل خارج هذا الدهر كله إذ يناجى الإلهى نفسه، ويستضىء بالمسيح، ويتقدس دائماً بالروح القدس عجباً يا أخوتى أن يخاطب إنسان ترابى دائماً فى صلاته الإله الذى لا يرى.!. التخشع يا أخوتى يفيد فى إغتفار الخطايا، ويستجدب الروح القدس، بالتخشع يا أخوتى يسكن فينا الإبن الوحيد إذا أقبلنا إليه وإنى خائف يا أخوتى أن أصف لكم إقتدار الدموع.!.

حنة النبية بالدموع أخذت من الله صموئيل النبى وكان فخراً لقلبها، المرأة الخاطئة فى منزل سمعان أخذت غفران خطاياها حين بكت وبلت قدميه المقدستين (٧) بدموعها. عظيمة هى قوة الدموع يا أخوتى التى من أجل الله فهى تقتدر كثيراً ! تجلو دائماً النفس من الخطايا وتنظفها من الآثام، العبرات التى من أجل الله تمنح دالة لدى الإله القدوس، والأفكار الخبيثة ما تقدر قط أن تقترب من النفس الحاوية الله والتى تصلى وتبتهل إليه إذا هدفت النفس إلى الله تبصره دائماً فى صلاتها وتلهج فيه الليل والنهار.!

(٦) عن ميمر «١٧».

(٧) أنظر ( لو ٧ : ٣٦ - ٥٠ ).

التخشع هو كنز لا يسلب والنفس الحاوية له تفرح فرحاً لا ينطق به، ليس تخشع يوماً إنما التخشع الدائم الذى داخل النفس ليلاً ونهار.

التخشع فى النفس يا أختى هو كمين صافية تسقى غروسها المثمرة أى الفضائل التى تسقى دائماً بالدموع والزفرات فتثمر ثمراً نضراً صافياً ناضاً أبداً لنفسك.

أسق أيها الأخ غروسك بلا انقطاع مبتهلاً بدموع حتى تنمو وتثمر يوماً فيوماً، ولا تصر متشبهاً بى أنا المسترخى والخاطىء الذى أقول كل يوم ولا أعمل البتة.. ولا تصر متوانياً ومسترخياً باختيارك فلا يكون لك خشوع ولا صلاة نقية... فإننى فى خوف دائم من الدينونة وليس لى عذر عن جرءتى فأطلب إليكم يا أخوتى القديسين الخائفين الله والذين تفعلون ما يرضيه أن تصلوا عنى أنا الحقير لتدركنى النعمة بصلواتكم وتخلص نفسى فى تلك الساعة المخوفة التى فيها يجىء المسيح فيكافىء كل واحد نظير أعماله... له المجد إلى أبد الدهور آمين.

تفهم يا أخى أنه من أجلك (٨) أقبل من السماء الإله القدوس الأعلى ليعليك من الأرض إلى السماء، مغبوط فى ذلك اليوم الذى حرص هنا كى يوجد مستحقاً لتلك السعادة، وإذ أنه لا يمكن أن تباع الأدوية السماوية والقدسية لأنه ليس لها ثمن ولكنها بالدموع توهب للكل. ترى من لا يعجب ومن لا يندهل، من لا يبارك كثرة تحننك أيها المخلص لنفوسنا لأنك ارتضيت أن تأخذ الدموع عوض أشفيتك فيا لقوتك أيتها الدموع ؟! إنك تدخلين إلى السماء مجاهرة كثيرة بلا مانع وتأخذين طلباتك من الإله القدوس !.

الضحك يحذف تطويب (٩) النوح خارجاً، ينقض بناء الفضائل، يحزن الروح القدس، ما ينفع النفس بل يفسد الجسم، ليس فيه ذكر الموت ولا تفكر العذاب. الضحك والدالة مثل ريح السموم تفسد ثمار الراهب.. ويحدرانه إلى أسفل.. فأعطنى يارب النوح والبكاء إذ بدون النوح لن يعرف الإنسان ذاته وليكن لنا النوح الذى لأجلك وليس لأجل الناس، لنكن مبتهجين بالروح القدس ومواهب الرب ناظمين

(٨) بستان الرهبان « ص ٢٨٢ » .

(٩) عن ميمر « ٢٠ » .

بعقولنا ضارعين إلى الله دائماً لكى لا نعدم ملك السموات والخيرات التى أعدها للذين يحبونه .

النوح يبنى ويحفظ النفس ويجعلها نقية طاهرة ، النوح يولد العفة ، يقطع الشهوات يقوم الفضائل ، النوح يطوب من الرب لذا قال أحد التلاميذ ليتحول ضحككم إلى نوح وفرحكم إلى غم ، اتضعوا قدام الرب فيرفعكم (١٠) .

ماذا أصنع أنا الخاطىء إذ لم أنح ولم أبك على نفسى بتخشع ، أتكلم وما أعمل ، ويل كيف أتهاون ويل كيف أتوانى فى خلاصى ؟ ويل لأننى بمعرفة أخطىء ويلى أننى بلا عذر ، ويل فإننى بأقوالى يحسبنى البعض من ذوى اليمين ، وبأفعالى قد وقعت فى اليسار...

لكن لك وحدك أيها الصالح أعترف بخطيتى إذ تعرف كل الأشياء وأنا صامت فليس شيئاً مكتوماً تجاهك . يارب قد أخطأت إليك ولست أهلاً أن أتفرس وأبصر علو السماء من قبل كثرة ظلامى ، إننى من أجل لذة يسيرة استهنت بالنار أنا أشقى كل الناس .

ليتنى أبكى (١١) على ذاتى إذ يوجد لى وقت أيضاً تقبل فيه الدموع ! فياربى لى دموع فأبكى ليلاً ونهاراً.. أتوسل إليك أن تطهر وسخ قلبى . ويل ماذا أصنع عند الظلمة القصوى حيث البكاء وصرير الأسنان ، ويل ماذا أعمل نحو الزمهرير والعذاب الذى لا ينقضى ، والدود النفاث بالسم الذى لا ينام ، ويل يا نفسى قد أخطأت فتوبى لأن أيامك تعبر كالظل **فبعد قليل تنصرفين من ههنا** ! ويل يا نفسى إذ بأفعالك الدنسة قد أحزنت الملائكة القديسين الذى يحفظونك . فلا تمنح نفسك راحة ولا أجفانك نعاساً ليعطيك الإله المتعطف معونة .. يا أخوتى بعد وقت قصير لابد أن نعبر إلى أماكن مخيفة ، وليس أحد من ههنا يرافقنا . لا والدين ولا أخوة ، ولا أصدقاء .

---

(١٠) ( يع ٤ : ٨ - ١٠ ) .

(١١) « الآن يقول الرب أرجعوا إلىَّ بكل قلوبكم وبالصوم وبالبكاء والنوح » ( يؤ ٢ : ١٢ ) .

فلا تتوانى فى الأعمال الصالحة التى ستجدها فى وقتها ، ولنستيقظ فى هذا الدهر قبل أن تقبض علينا قوات الظلمة بعد الفراق أولئك الذين لا يرهبون ملكاً ، ولا يكرمون أميراً ، ولا يبجلون صغيراً أو كبيراً سوى الذى بالأعمال الصالحة يولون منه منهزمين ...

إن نفوس الصديقين بيد الرب ولن تمسهم آلام ، ومجد الله يجللهم . حينئذ يصرخون فيستجيب لهم الرب ... فلا تتوانى يا أختى الأحباء فإذا حانت ساعة الفراق تذبل تلك اللذات ، ويهلك التنعم ، ويبيد الغنى وحب الرئاسة جميعها تنحل وتزول ...

مجارى المياه لوقت الحريق ، ومجارى الدموع (١٢) فى زمن التجربة الماء يخمد لهيب النار والدموع تطفىء شهوة الشر !

مغبوط هو المتقى الرب ، مغبوط هو الإنسان الذى فى داخله مخافة الله إنه يطوب من قبل الروح القدس جهاراً ...

حقاً إن المتقى الرب سيكون خارج كل حيل العدو.. يغلب بسهولة كافة مكائده الرديئة إذ لا يستأسره بشىء لأنه من أجل التقوى لا يقبل لذة الشهوة ، لا يتنزه هنا وهنا لأنه ينتظر سيده لئلا يأتى بغتة فيجده متوانياً فيشقه نصفين (١٣) فالمتقى الرب مستيقظ دائماً ، ولا يعطى ذاته نوماً إلا بمقدار لأنه يسهر فى مجىء الرب المخوف وما يضجع لأنه فى كل وقت يهتم بقنيته الروحية ، يحرص لئلا يغيظ سيده ، وكل حين يختبر الأعمال المرضية للرب حتى إذا جاز به يمدحه بأنواع كثيرة ، الذين يقتنون تقوى الله تصير لهم سبباً لخيرات جزيلة (١٤) . من ليست عنده مخافة الله سيكون سريع الانصياد لمكائد العدو ، ويصير محزناً للذات ... يتباهى باللذات ويسر بالراحات ويهرب من الشقاء يرفض التواضع ويصافح الكبرياء ، فيجىء الرب ويرسله إلى الظلمة الأبدية .

---

(١٢) حياة الصلاة الأرثوذكسية - لدير السريان « ص ٤٨٢ » .

(١٣) ( لو ١٢ : ٣٢ - ٤٨ ) .

(١٤) عن مير «٤٦» قول ٢ ، ٣ .

تبصرت (١٥) كل شيء فلم أجد ما هو أفضل من خشية الله فطوبى لمن أحبها : فقد أحبها يوسف البار فعقد له التاج على مصر. وأحبها موسى العظيم ففلق البحر بعصاه. وتعشقها أطفال حنانيا فأنقذتهم من النار إنها لأشهى من الذهب وأحلى من الشهد لقد أوغلت فى طلب المال فإذ به يبقى فى الدنى ، وتعشقت الجمال فإذ به يفنى فى الهاوية ، وتلمست الأخوة والأحباء فلم يجدونى نفعا فها إنى أساق إلى الدينونة حيث لا يخلص الأخ أخاه. فيا ربى نجنى من جهنم فإن مجرد ذكره يزعجنى.

**إن الدموع ثلاثة أنواع (١٦) :**

١ - دموع من الأمور الظاهرة وهذه مرة جداً وباطلة .

٢ - دموع التوبة إذ تشتاق النفس للحياة الأبدية وهذه نافعة جداً .

٣ - دموع الندم حين لا يوجد وقت للتوبة حيث البكاء وصرير الأسنان..

+ خاف الله واطرد الشيطان المريد أن يخدعك ويسرق أتعابك ..

تيقظ فى حداثتك فإن توانيت ستوجد عبداً للآلام لأن من غرق فى اللجة وإن تيقظ فالأمواج تغلبه..

+ حب التخشع لتنجو من أتعاب كثيرة ، ابك إذا صليت (١٧) لتجد نياحاً عندما تمضى ، اهتم بالعمل كحكيم فإن الهزء والضحك لا ينفعانك عند الرحيل..

لا تخجل أن تحفظ التخشع بقلب متواضع .. اتق الله بكل قوتك فيقودك للخلاص ليكن لك تواضع ودعة فتحل عليك نعمة الرب.

+ اتخذ فى عقلك كل وقت خشية الله لأنها مثل سيف ذى حدين يقطع كل شهوة شريرة متذكراً اليوم الأخير المخوف..

---

(١٥) اللآلئ المنثورة فى الأقوال المأثورة ( من الأدب السريانى ) لمارأغناطيوس يعقوب الثالث.

(١٦) عن مبمر ٢٧ .

(١٧) عن مبمر ٣٢ .

+ الطيور يغلب عليها الحنان ، فكم تغلب نعمة رأفاتك والأم لا يحتمل قلبها أن تترك إبنها يبكى فكم جزيل تعطفك أيها المحب للبشر!.

+ إن بكينا هنا سننجو هناك من النار التى لا تطفأ ...

+ يا لاقتدارك أيتها الدموع فإنك تصعدين إلى السماء وتأخذين طلباتك من الإله القدوس .

## صلاة للقديس (١٨)

إليك أتضرع أيها المسيح مخلص العالم كله أنظر إلىَّ وارحمنى ونجنى من كثرة آثامى فإنى قد تجددت سائر الصالحات التى صنعتها معى منذ حداثتى لأنى كنت عادم الفهم فجعلتنى مملوءاً علماً وحكمة وتكاثرت علىَّ نعمتك فأشبعت جوعى وأروىت عطشى وأضأت ذهنى المظلم وجمعت من الضلال أفكارى !

فالآن أسجد وأتضرع إلى تعطفك الذى لا يوصف معترفاً بضعفى . لا تغضب علىَّ أيها الكلى الصلاح ، يا صورة الآب و يا شعاع المجد الذى لا يرى أرحنى من الشهوات فإنها كالنار تلهب كليتى وقلبى فخلصنى منها إذ صنعت فىَّ منزلاً بظهور صلاحك ...

أيها السيد المعطى الحياة وحدك أعطنى طلبتى وأحجب آثامى ، ذاكراً عبراتى ...

لتتراءف علىَّ فى تلك الساعة الرهيبة ولتسترنى تحت أجنحة نعمتك . وتعطفك الذى لا ينطق به واجعلنى لذلك اللص اليمين مشاركاً الذى بكلمته صار وارثاً للفردوس ... فأقرب لتعطفك مجداً لأنك استمعت عبراتى وأيدت أيامى ... نعم يا سيدى الذى بلا خطية وحدك والمتعطف علىَّ اسكب علىَّ صلاحك الذى لا يوصف ، أعطنى ولكافة الذين يحبونك أن نسجد لمجدك فى ملكوتك ، وإذا تمتعنا بجمالك نقول المجد للآب الذى خلقنا ، المجد للابن الذى خلصنا ، المجد للروح القدس الذى جددنا إلى أبد الدهور كلها . آمين .

---

(١٨) عن ميمر «٥» بتصرف .

الفصل الخامس :

# تبكيت الذات

فى أحد الأيام نهضت فى دجى الليل وذهبت وكان معى اثنان من الأخوة إلى مدينة الرها (١).

رفعت عينى إلى السماء فعاينتها مثل مرآة صافية صقلها تتلألأ مع الكواكب اللامعة.. تعجبت كثيراً وقلت إن تكن هذه البرايا تلمع هكذا بمجد عظيم - فالصديقون والقديسون الذين يتبعون مشيئة الإله القدوس كم أولى بهم أن يشرقوا فى تلك الساعة بنور مجد المخلص. وللحين تذكرت مجىء السيد المرهوب فاضطربت عظامى، وانقطعت عنى قوتى، وبكيت بوجع قلب، وقلت بزفرات كيف أوجد أنا الخاطىء فى تلك الساعة الرهيبة، وكيف سأمثل أمام المجلس الرهيب!.

كيف أوجد أنا المتنزه مع الكاملين، كيف أقف أنا الجدى مع الخراف؟!

كيف أوجد أنا غير المثمر مع القديسين العاملين ثمار العدل؟!

القديسون يعرفون بعضهم فى المواكب السمائية فماذا أصنع وترى من يعرفنى إذ الصديقون فى الخدر السمائى والمنافقون فى النار...

الشهداء يرون تعاذيبهم، والنساك فضائلهم، **فماذا أرى أنا سوى رخاوتى وتهاونى!.**

أيتها النفس الخاطئة والكارهة حياتها دائماً .. إلى متى تجذبك الهموم على الأرض، وسوء الأفكار؟ أما علمتِ أن الأفكار الخبيثة التى لكِ تصير كسحابة مظلمة قدامك تحجزك عن الوقوف أمام الله وفيما تتوقين تباطؤ مجيئه فإنه يجيء عليكِ كالبرق المفزع..

**أحرصى يا نفسى تلك الساعة المخيفة لئلا تبكى هناك إلى أبد الدهر!**

لا تصيخ بتاتاً إلى هفوات الآخرين وانتحبى على زلاتك، لا تبصرى قط القذى الذى فى عين الأخ والقريب بل تأملى الخشبة التى فى عينك تأملاً متواتراً، فانزعى أولاً الخشبة من عينيك... وإن لم يمكنك فتوحى على عمى بصيرتك، وكيف تظنين أنك

(١) عن ميمر (١٣) المخطوطة ٢٠٠ ميامر.

تمنحين القريب نوراً..

صيرى يا نفسى طبيباً لذاتك كل ساعة ثم بعد ذلك تستطيعين شفاء أخيك السقيم.

**ليس لك عذر على تواتيك لأن الإله الرحوم قد أعطاك المواهب تمييزاً، فهماً، معرفة روحانية، فاعرفى من الآن ما يوافقك...**

لقد رآنى الأخوان أبكى فقالا لماذا تبكى يا أبانا هكذا بكثرة؟! فقلت لهما يا ولدىّ المحبوبين من أجل خطاياى أنوح على ذاتى لأن الإله الصالح أعطانا إستنارة العلم وأنا أخالف يوماً فيوماً. فمن يكمل مشيئة الرب سيكون مغبوطاً فى تلك الساعة بل وكل الذين يعملون مسرته.

من أجل هذا يا أختى ليس لنا هنا معذرة لأننا بمعرفة نخطىء فلنتأمل كلنا تدبير الله وكافة المواهب التى أعطانا ونعمته التى دائماً تتعهد قلوبنا فإن وجدت راحة لها تدخل وتسكن النفس كل حين سرمداً، وإن لم تجده نقياً نظيفاً تبتعد عنه للحين ثم لرأفته يتعهدنا نحن الخاطئين الذين ذهننا متقلباً بل ومسترخين الجسد، مفتكرين خطايا البعض بأفكار رديئة فنوجد دائماً كطريحين فى حمأة نتنة من الأفكار... فإذا جاءت النعمة تفتقدنا تجد نتانة تلك الأفكار فى قلوبنا فتنتحى وتبتعد إذ لا تجد مدخلاً لتسكن فينا ومع هذا لا يمكنها أن تبتعد عنا بالجملة لأن تحننها يضطرها أن ترحم الكل. أرأيت كيف يحبنا الإله القدوس دائماً مريداً خلاصنا؟! فمغبوط ذلك الإنسان الذى يحرص فى كل وقت أن يكون قلبه نظيفاً للنعمة لكى تجد طيب نسيم الفضائل وطهارة النفس فتسكن فيه إلى أبد الدهر.

ماذا نقدم للإله المتحنن على كافة خيراته ومواهبه إذ نزل من السموات من حضن الآب ومن أجلنا متجسداً من البتول، وأنه من أجلنا لطم مثل عبد. فمن اللطمة وحدها ماذا نقضيه. إن عشنا نحن على الأرض ألف سنة ما تستطيع أن نقضى لله ما هو واجب عن نعمته. أنا من هذا أختشى يا ولدىّ المحبوبين.

أصغى إلى ذاتك (٢) أيتها النفس المؤثرة لئلا تعبر أيامك فى التنزه، لا تقبل الأفكار الخبيثة لئلا تضعف قوتك فى حرب العدو. ليكن فى ذهنك دائماً فكر السيد الحلو ليكلل سعى نسكك. حاضرى جهاد نسكك فقد حان الوقت الذى يكلل فيه المجاهدون أما المتوانين فيندمون. **أقتن الفضيلة ما دام يوجد لك زمان** صدقاً فى سمعك، كلمات حياة فى لسانك.. وفى قلبك دائماً صورة الرب، فى أعضائك تقويم العفة...

الخشبة تكرم إذا كان فيها صورة ملك مائت فكم بالأكثر تكرم النفس الحاوية الله فى هذا الدهر وفى الآتى!..

أصغ أيها الحبيب فالشهوة مائتة أما جسدك فهو حى. فاحذر أن تمنح جسدك الحى ذلك الموت لئلا يقتلك... **أحضر إلى ذهنك النار التى لا تطفأ والدود الذى لا يموت** ففى الحال تخمد التهاب شهواتك. لئلا تنغلب وتندم. أقتنى صرامه من البداية مقابل كل شهوة ولا تعتاد الهزيمة فى الحرب لئلا تبنى وتنقض كل وقت تخطىء وتندم وتعتاد التراخى فتكون كل حين حزيناً كئيباً فترى قدام الناظرين بورع لكن من داخل فى توبيخ من ضميرك إذ قد ألفتك الشهوة. تحرز من كل نفسك كل وقت ألا تكون خالياً من المسيح لأن **المسيح هو للنفس ختن لا يموت!** لا تترك ختنك الحقيقى لئلا يتركك أنت وإذ تركك ستحب الغريب الذى هو الفاش (العدو)، وإذا أفنى الإنسان نعمته يوجد ممقوتاً منها.. من لا يبكى إذ العدو قد أفنى قوتنا وزماننا فى نجاساته وشهواته الدنسة ولا يحبنا قط أما الله فإنه يحبنا دائماً.

فالمجد للآب والابن والروح القدس إلى أبد الدهور آمين.

يا أخوتى لقد قال الكتاب « اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكى تشفوا (٣) ». فبتوسلاتكم عنى أنجو من الخطايا المصطبغ بها وأصير معاق، وأنهض من سرير الخطايا المفسدة الذى لى منذ طفوليتى، والآن أسمع عن

---

(٢) عن ميمر (١٢) بتصرف.

(٣) (يع ٥ : ١٦).

الدينونة وأتهاون بخطاياى (٤) وجرائمى الكثيرة...

أعظ كثيرين أن يبتعدوا عن الأشياء التى لا تنفع وأنا تكمل فىّ مضاعفة . و يلى أى خزى لى ، و يلى لأن باطنى ليس كظاهرى ، و يلى فإن لم تشرق علىّ رأفات الله سريعاً فليس لى بأعمالى رجاء واحد للخلاص...

أتكلم عن الطهارة وأعيش فى الدنس ، أقول عن عدم الألم وأعيش فى النجاسة ليلاً ونهاراً . فأى عذر لى ؟!

و يلى أى عذاب قد أعد لى .. فأتقدم إلى الرب الإله العارف مكتومات قلبى أنا المديون بمثل هذه المساوىء ، إنى أجزع أن أقوم للصلاة لئلا تنحدر علىّ نار من السماء فتبيدنى لأن الذين قدموا فى البرية ناراً غريبة خرجت من عند الرب فأحرقتهم... فماذا يكون لى من عظم ذنوبى ؟!

.. لكنى أثق برأفات الله وتوسلاتكم عنى فلا تفتروا فى التضرع لأجلى لأعتق من عبودية تلك الآلام فقد غمى قلبى.. وأظلم ذهنى ، وصرت مثل الكلب الذى يعود إلى قيئه فإنه ليس لى ذهن نقى ، ولا دموع فى صلاتى إن تنهدت جفت دموع وجهى من الخزى..

جاهدوا معى يا أخوة فى الصلوات طالبين رأفات الله . ليعطنى أنا العطشان من ينبوع الحياة... أنيروا قلبى يا من صرتم أبناء النور أرشدونى أنا الضال إلى الطريق المؤدى إلى الحياة . أدخلونى إلى باب الملك يا من صرتم للملك وارثين..

فلتدركنى رأفات الله قبل أن تنكشف أعمال الظلمة جهاراً فأى خزى يكون لى عندما يقال لى إنى تركت الطريق الروحانية وخضعت للآلام .

لا أريد أن أطيع وأشاء أن أطاع ، لا أريد أن أتعلم وأشاء أن أعلم ، لا أختار أن أتعب وأريد أن أتعب ، لا أريد أن أعمل وأشاء أن أحض على العمل ، لا أريد أن أكرم وأشاء أن أكرم ، لا أريد أن أعير وأشاء أن أعير ، لا أريد أن أحتقر وأشاء أن أتكبر على الآخرين ، لا أختار أن أوبّخ وأشاء أن أوبِخ ، لا أريد أن أرحم وأطلب أن

(٤) عن ميمر «٢» .

يترحم علىّ ، لا أشاء أن أتنهر وأريد أن أتنهر ، لا أريد أن أظلم وأشاء أن أظلم الآخرين لا أختار أن أضر وأشاء أن ألحق الأذى بالآخرين .

ما أشاء أن أسمع وأريد أن يُسمع لى ، لا أشاء أن أجد وأؤثر أن أجد .. حكيماً فى الوعظ لكن لست فى العمل **أقول ما يجب وأعمل ما لا ينبغى !..**

ابكوا علىّ أيها المحبون النور ، ابكوا علىّ أنا الغريق بالآثام أيها المبغضون الشر ، والمحبون الخير .. ابكوا علىّ أنا الذى تركت العالم بالزى فقط .. ابكوا علىّ أيها المقتنون المحبة الكاملة . إذ أحب قريبى بالأقوال وأبغضه بالأفعال .. ابكوا علىّ أيها المقتنون الصبر أنا الغير صبور ، أيها المشتاقون إلى الآب ابكوا علىّ أنا الفاقد الأدب ، ابكوا علىّ أنا الغير مستحق أن أتفرس وأبصر علو السماء أيها المقتنون وداعة موسى وأنا أضعتها بإرادتى . أيها المقتنون عفة يوسف وأنا طرحتها . أيها المحبون تمسك دانيال وأنا قد عدمته ، أيها المقتنون صبر أيوب أنا الغريب عنه . ابكوا علىّ يا من ليس لديكم فنية كالرسل ابكوا علىّ أنا الضعيف النفس والجبان يا من حفظتم هيكل الله بلا دنس **وأنا** قد دنسته . ابكوا علىّ يا من يتذكرون الموت وأنا غير متذكر هذا السفر إنكم تتصورون الدينونة التى بعد الموت وأنا أتذكر ضدها . ابكوا علىّ أيها الوارثون ملكوت السموات أنا الذى لم تترك فىّ الخطية عضواً صحيحاً ..

يا أخوتى ها أنا قد كشفت لكم كلوم نفسى فلا تتوانوا لأجلى أنا المتألم لكن أطلبوا من الطبيب لأجلى أنا السقيم . أطلبوا إلى الراعى من أجل الخروف ، وإلى الملك من أجل الأسير ، وإلى الحياة من أجلى أنا المائت لأنال الخلاص الذى لربنا يسوع المسيح و يرسل نعمته من أجل **زلق نفسى** ...

**لا أزال أعمى وأروم أن أرشد العميان** .. لذا فأنا محتاج إلى صلوات كثيرة حتى أعرف قدرى !. ليضىء قلبى المظلم ، وتسكن فى عوض الجهالة تلك المعرفة الإلهية إذ لا يصعب على الله ذلك فكلما شق لشعبه طريقاً فى البحر ، وأمطر عليهم المن وأعطاهم السلوى كرمل البحر ومن صخرة روى عطشهم ... فما **يستطيع أحد أن يشفى أوجاع نفسى إلا هو إذ يعرف أعماق** قلبى كم مرة بنيت حيطان بينى و بين الخطية لكن هدمت إذ لم تؤسس على التوبة الخالصة ، فلذلك أقرع الآن ليفتح لى .. إنى أطلب من

صلاحك صفحاً عن أعمالى.. يارب جردنى عن كل فعل خبيث لكى أجد نعمة أمامك فى ساعة الوفاة لأنه ليس فى الجحيم من يسبحك..

أطوب حياتكم أيها المحبون المسيح لأنها حسنة هى الدالة وويل لأن سيرتى عاطلة وغير نافعة (٥). أغبطكم يا خدام المسيح المخلصين لأنكم بسيرتكم المستقيمة جعلتم ذاتكم أحباء الله والملائكة.

من لا ينوح علىّ ؟ لأنى أغظت الله بأعمالى الباطلة. مغبوطون أنتم الذين قد ورثتم الفردوس بسيرتكم النقية وبمحبتكم.. إنى متعجب منكم كيف ما عجزتم عن مسير مسافة هذا الطريق من أجل ما يوافق أنفسكم وما هو أعجب من هذا أنكم جئتم إلى واحد حقير ومشجوب بالخطايا طالبين منه كلام منفعة إننى أعجب بالحقيقة كيف جئتم أنتم الشباعى إلى الجائع ؟ كيف أقبلتم أنتم أصحاب الندى الروحانى إلى المتعطش ؟ كيف أنتم المالكون حلاوة الفضائل جئتم إلى المتمرغ بالخطايا ؟ كيف يأتى الأغنياء إلى الفقير ؟. كيف يقبل الحكماء إلى الجاهل ؟ كيف جاء الأطهار إلى الدنس ؟ كيف جاء الأصحاء إلى المريض ؟. كيف ورد الذين يرضون الله إلى من يبغضه ؟ كيف جاء الأحرار إلى المأسور، كيف أقبل المهتمون بالخلاص إلى المتوانى ؟.

أنتم بالفضائل أرضيتم الله وأنا بجهلى أدان، أنتم بالأعمال الحسنة وبالطهارة صرتم طيباً للمسيح !. وأنا بشرورى صرت بكليتى نتانة كريهة.. أقبلتم إلىّ أيها المحبون المسيح مريدين أن تعضدوا رخاوتى وتجعلوا نفسى المتوانية مهتمة وحريصة وتشجعون صغر نفسى لأنكم كاملون فى الفضيلة فإذ قد التمستم بتواضع أن تقتبسوا منى أنا الناقص كلام منفعة ! وأمرتمونى بهذا.. فإننى فى خزى أتكلم :

فإن بدأت أشير عليكم فإنما أدين نفسى، وإن ابتدأت أوبخ آخرين فإنما أثلب ذاتى لأن المخلص يقول أيها الطبيب اشفى ذاتك وقال أيضاً « كل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون (٦) ».

---

(٥) عن ميمر «٤٦».

(٦) (مت ٢٣ : ٣).

فلذلك إن كنت دنساً لكننى أشير عليكم رأياً مستقيماً . فإذا أطوب كل من فى هذه السيرة الملائكية وإزداد فيها إذ من لا يغبط الذى فى تلك السيرة والمتصرف بالطهارة من أجل الخيرات العتيدة التى لا تحصى ومن لا ينوح على التوانى إذ من أجل أمر حقير يلقى خارج ملكوت السموات وجذب أعمال الخير عنده يخرج عن الخدر السمائى .

كم هى طول أناة الله (٧) .. إنه يُذم و يُثلب فيحتمل بتمهل وما يسخط ، يُستهان به فلا يحقد ، بل يمنحنا بكثرة كل الخيرات و يرحم لأنه يريد أن يوصلنا كلنا إلى التوبة لأنه صانع الخيرات !

ماذا أصنع أنا الخاطىء لأننى تراب ورماد ولا يمكننى أن أحتمل شيئاً بل ولا أشاء أن أحتمل كلمة أخى . لأننى إذ لا أكرم أغتاظ وإذا أكرمت تشامخت .. و يلى و يلى أنا الخاطىء !..

أيها الابن الوحيد الجنس يا شعاع الآب . الساكن فى النور (٨) الذى لا يُدنى منه والذى لا يُدرك ، المنير بنعمتك كافة المسكونة .. أضىء عقلنا المظلم لأنه مثل غرس جديد يحتاج إلى سقى الماء دائماً .. كلمتك يارب فتحت عينى المولود أعمى ، وحين أبصر بعينيه الجسدانية أضاء ذهنه للحين ليشيد بلا خوف عن طبيبه فإنه إله الكل . أضىء أعين قلوبنا فنحبك أيها السيد ونكمل بشوق مشيئتك دائماً فها هى كأس دمك الرهيب موعبة ناراً وحياة فهبها لنا للاستنارة ولنتقدم لها بإيمان وشوق وقداسة ليصير لنا تمعيناً لخطايانا للإدانة .. إذ يشجب ذاته من لم ينظف نفسه ليقبل الملك فى حجلته .

النفس عروس المسيح المقدسة للختن الذى لا يموت ، والعرس هو الأسرار الإلهية فلتكن مشتاقاً أن تقبل الختن السمائى لكيما فى يوم مجيئه يصنع لك منزلاً عند أبيه و يكون مديحك كثيراً أمام رؤساء الملائكة والملائكة والقديسين ...

**أيها الأخ ماذا يلتمس الله منك سوى خلاصك ؟!..**

---

(٧) عن ميمر ٤٢ قول ٨٦ .

(٨) عن ميمر «١٧» .

فإن لم تشأ أن تكمل وصاياه فإنك تقتل نفسك وتخرج ذاتك من الخدر السمائى... إنه لم يشفق على ابنه الوحيد الذى بلا خطية وحده، وأنت يا شقى ما ترحم ذاتك. استيقظ من نومك قليلاً يا مسكين، افتح فمك مستغيثاً به، اطرح عنك ثقل خطاياك، أرحم نفسك، تضرع بمداومة، ابك كثيراً.. اهرب من الاسترخاء، أمقت الخبث أرفض الرذيلة، حب الوداعة، ادرس التسبيح. **أحرص أيها الأخ مادام يوجد وقت.**

حب الله من كل نفسك كما أحبك هو، صر هيكلاً لله فيسكن فيك فإن النفس الحاوية الله هى هيكل الله المقدس... تصير مجداً للاهوت وتتبادر دائماً إلى افتقادها مواكب الذين لا أجسام لهم فمنذ يسكن الرب فى النفس فالملائكة السمائيون يبتهجون بها ويحرصون دائماً أن يكرموا تلك النفس لأنها هيكل سيدهم !.

تعالوا يا أخوتى المباركين وأسمعوا فنفسى توجعنى (٩) وجوانحى تؤلمنى أين هى الدموع، أين التخشع ؟ حتى يحمى جسمى بالدموع والزفرات، من ينقلنى إلى مكان غير مسكون حيث لا يوجد البتة صوت البشر، وحيث يكون الصمت، حيث لا يوجد إنسان يعوق البكاء و يقطع الدموع..

فأرفع صوتى وأبكى لدى الإله بعبرات مرة وأقول بزفرات : أشفنى يارب فأبرأ لأن قلبى من الإفراط يوجعنى، إذ أعاين يا سيدى قديسيك كذهب منتخب وهكذا تأخذهم من العالم الباطل إلى نياح الحياة بمنزلة الفلاح إذا رأى الثمار بلغت أوانها فيسارع إلى قطفها لئلا تتلف من عوارض الفساد فهكذا أنت أيها المخلص تجمع العاملين البر، ونحن الذين فى تهاوننا وقساوتنا مازال ثمرنا لم يتغير، إذ لن نبلغ حسناً الأعمال الصالحة ونقطف إلى مخازن الحياة فالثمر الذى لنا ليست له دموع تصل به إلى اكتماله، ولا تخشع البتة لتتباهى نضارته من نسيم العبرات، ولا تواضع أصلا ليظلل فوقه من شدة الحر، ولا ترك قنية لتنتقل من الأمور المضادة، ولا محبة الله القوية الحاملة الثمار، ولا عدم الاهتمام بالأمور الأرضية، ولا سهر، ولا عقل متيقظ فى الصلاة...

(٩) عن ميمر «١٤».

إذ عوض هذه الفضائل الصالحة يوجد ما هو ضدها، حقد، وغضب يعوقان الثمر لئلا ينمو فينتفع به، وضجر عظيم.. هذه كلها كيف تترك الثمر ينمو و يكتمل كما يليق ؟!.

و يلى و يلى يا نفسى تكلمى وابكى إذ أين الآباء النساك الأبرار، أين هم الآباء الكاملين ؟.

أين هم القديسون ؟ أين المتيقظون ؟ أين الساهرون ؟

أين المتواضعون ؟ أين الودعاء ؟ أين الصامتون والذين فى السكوت ؟

أين الورعون والعادمون القنية ؟ أين المتخشعون الذين أرضوا الرب ؟

أين الذين كانوا فى الصلاة النقية قدام الله كملائكة منيرين ؟

أين الباكون بخشوع ؟ أين الذين حملوا صليبهم وتبعوا المخلص وسلكوا ذلك الطريق الضيق، بل وسلكوا طريق الحق. طريق وصايا الرب وخدموا الله بسيرة حسنة ؟.

لقد أحبهم الله جداً وضمهم إلى ميناء الحياة والفرح الخالد ليتنعموا هناك فى فردوس النعيم إذ بفرح عظيم ساروا إلى الإله القدوس ومعهم مصابيحهم مضيئة ...

ليس فينا فضيلة مثل أولئك .. بل ولا نحتمل بعضنا البعض إذ ألسنتنا محماه على بعضنا، كلنا نلتمس الكرامة، نؤثر التشريف، نبتغى الراحة، نحب القنية، غير مثابرين فى الصلوات، غير خاضعين، ضعفاء فى السكوت، نشيطين فى التنعم، باردين فى المحبة، حارين فى الغضب، عاجزين عن الصالحات، وحريصين فى السيئات ...

ترى من لا ينتحب ومن لا يبكى على محبتنا الرخوة. لقد كان آباؤنا مرآة صافية للناظرين بل وكانوا يبتهلون إلى الله من أجل أناس كثيرين.

و يلى و يلى يا نفسى فى أى زمان أنتِ، وإلى أية حمأة قد بلغتى ؟.

وأى عذر يكون لنا أمام الله من أجل توانينا فى خلاصنا إن لم تحرص الآن ونبكى بشدة ونتوب حسناً بتواضع نفسى ووداعة كثيرة. ليقل كل واحد منا بدموع

غزيرة و يلى أنا الخاطىء ماذا دهمنى بغتة ، كيف عبر عمر رخاوتى ؟ ، وكيف أنا الغبى سرق زمانى ؟ أين تلك الأيام التى قضيتها ؟ وماذا أنتفع من كثرة هذه الأقوال إذا رأينا القديسين يأتون بمجد فى السحب للاقاة ملك المجد ، أما نحن فنكون فى ضيقة عظيمة . ترى من يستطيع أن يحتمل ذلك الحزى والتعيير !.

فلنستيقظ وننهض يا أخوتى أحباء الله ، ولنجمع أفكارنا قليلاً من هذا العالم الباطل ، ونجثو أمام الله بعبرات غزيرة متضرعين بزفرات القلب لينجينا من العذاب المر ، ولكى لا نفارق السيد الحبيب الذى بذل ذاته للصلب من أجلنا ، وأنا الغير المستحق والخاطىء أتضرع إليكم أن تسكبوا من أجلى دموعاً فى صلواتكم وطلباتكم النقية طالبين لأجلى لأتخشع و يستضىء قلبى الأعمى ، كما أطلب إلى الإله القدوس لكيما يعطينى نشاطاً قليلاً مع حرص فأتوب مادام يوجد وقت مقبول للدموع أنا غير المستحق الحياة أطلب إليكم أن تقبلوا إستغاثة أفرآم الخاطىء أخيكم المسترخى ، ولنحرص كلنا أن نطلب غفران الإله القدوس لأن الرب واقف على الأبواب ليصنع إنقضاء العالم الباطل .

له السبح والمجد الدائم إلى الأبد آمين .

أنت إنسان تراب الأرض (١٠) ، طين ، قريب لكل ما هو أرضى وحقير ، ابن للجنس الحيوانى . إذا كنت لا تعرف كرامتك فاعزل ذاتك عن الحيوانات بالأعمال لا بالأقوال ، إذا كنت ولوعاً بالسخرية فأنت لا تختلف عن الشيطان وعندما تهزأ من قريبك فأنت فم إبليس .

إذا كنت تسر بالضعفات والخطايا بألفاظ جارحة فالشيطان لم يعد له مكان فى الخليقة لأنك قد اغتصبت مكانه عنوة . أهرب من هذا يا إنسان لأن هذا أمر ضار ومؤذ ، وإذا أردت أن تحيا حسناً فلا تجلس مع المستهزئين لئلا تشترك معهم فى خطيتهم وفى عقوبتهم ، عليك أن تبغض السخرية حتى تصل إلى البكاء ، وأرفض الطرب حتى تقتنى طهارة النفس ، وإذا صادف أن سمعت ساخراً على غير إرادتك فارسم على

(١٠) مترجم عن :
The Writings of Niciene and post Nicicne fathers vol 13 Page 331 ,333 .

تفسك علامة صليب النور وأهرب عاجلا من هناك كالظبى لأنه حيث يسكن الشيطان لا يمكن أن يسكن المسيح أو الإنسان الذى يسخر من قريبه إنما يفسح مكاناً رحباً لسكنى الشيطان، و يصبح قلبه قلعة لإبليس ولا يحتاج الشيطان إلى إضافة أى خطية أخرى لمثل هذا لأن السخرية فى ذاتها كافية أن تفتح المصراع للجميع ... فبسبب ضحك هذا الساخر يحزن البائس والمسكين وهو لا يعلم ذلك ولا يدركه. جرحه لا يندمل وعلته لا شفاء لها. وألمه بلا دواء وضربته لا تقبل العلاج. ليست بى حاجة أن أجعل لسانى فى توبيخ مثل هذا الإنسان فيكفيه عاره المخجل وتكفيه جرأته الوقحة. طوبى لمن لا يسمعه ولمن لا يعرفه.. فهذا الشرير خيراً لإبليس.

لا تغضب إنساناً لئلا يلقبونك بالشيطان فإن كنت تكره مجرد الاسم فلا تقترب من ذات الفعل، أما إذا كنت تحب هذا التصرف فلا تغضب من هذا اللقب. أنظر إلى الطيور و وبخ نفسك أولا عما تراه فيها فكل نوع يلتصق بجنسه ومنها تتعلم أن تتفق مع رفيقك فى الخير، ولا تبتهج بما يصيب الناس من المهانة حتى لا تكون أنت نفسك شيطاناً فإذا حدث شر لمن يبغضك فلا تفرح لئلا تخطىء فإن سقط عدوك فتألم من أجله واحزن.

أحفظ قلبك حتى لا يخطىء داخلياً ( ١م ٤ : ٢٣ ) لأن كل أفكار الإنسان وأفعاله سوف تعلن أمام الجميع. سخر يديك فى العمل ودع قلبك يهذى بالصلاة، إياك أن تحب الأحاديث البطالة لأن الحديث النافع يبنى الجسد والروح ويخفف من عبء عملك.

بالنسبة للبار والمستقيم تصبح التجارب عوامل مساعدة، لقد انتصر (١١) أيوب على التجارب بالتمييز والحكمة. لقد حل عليه المرض فلم يئن أو يشك. لقد أقضت العلة مضجعه ولم يتذمر، ذبل جسده وتداعت قواه ولكن إرادته الصالحة لم تضعف، لقد أثبت كماله فى كل آلامه على قدر ماعجزت التجارب عن سحقه، كان إبراهيم غريباً عن وطنه و بيته وأقاربه ولكن لم يصبه أذى بل لعل هذا عزز انتصاره فى جهاده، وهكذا يوسف فى بيت العبودية انتقل ليحكم كملك مصر. تأمل الذين رافقوا

(١١) عن المرجع السابق « 335 - 336 » page .

دانيال وحنانيا، خلصوا آخرين من العبودية... تأمل أيها الحكيم القوة التى تمتلكها الحرية لا شيء يستطيع أن يصيبها بأذى ما لم تضعف الإرادة.

أنعم إسرائيل بحياة الترف والمتعة فترك عهده مع الله ونسيه (تث ٣٢: ١٥) فقدم عبادته لآلهة كاذبة، ونسى طبيعة خلقته، نسى أيام عبوديته فى مصر عندما استراح السيت فى البرية، كلما حاصرته الضيقات عندئذ فقط كان يعترف بالرب الإله ولكن عندما يسكن أرض الراحة كان ينسى الرب مخلصه، لا تلتمس الراحة فى هذا العالم لأن هنا أرض الشقاء. وإذا كنت حكيماً فلا تستبدل زماناً بزمان، «**لا تستبدل الحياة الباقية (الأبدية) بالفانية**»، لا تستبدل الأبدية بالزمنية، ولا الحق بالكذب، ولا الجسم بالظل ولا اليقظة بنوم الغفلة، ولا اللائق بما لا يليق، ولا الدهر بالأزمنة.

اجمع ذهنك ولا تدع فكرك يطيش فى أمور مختلفة لا تفيد.

لا يوجد فى الخليقة غنى إلا من هو يخاف الله، والفقير الحقيقى هو من لا يملك الحق ما أشد حاجة الإنسان وفقره، حتى أنه يلتمس حاجته من المنبوذين والفقراء، وسوف تكون حاجته هذه شاهداً ضده، إنه مستعبد حقاً وكثيرون يسودون عليه، مستعبد للمال، والثروة والمقتنيات سادته تنعدم فيهم الرحمة، لأنهم لا يسمحون له بالراحة. أهرب من هذا العناء والتمس حياة الفقر لأنها تحنو عليك كما تحنو الأم على وحيدها، تحصن بالحاجة والعوز لأنه يطعم صغاره بالأشياء المختارة، إن نيره هين ولطيف، ويلذ تذكاره لخلقك. مرضى الضمائر وحدهم هم الذين يرفضون جرعة الفقر، ضعاف القلوب هم الذين يجزعون من نير العوز الشريف، من الذى أعطاك يا ابن الإنسان أن تجد راحة فى العالم؟ **من الذى أعطاك يا وليد التراب أن تكون غنياً فى وسط الفقراء؟!** لا تكن حاجتك وهمومك وتطلعك للآخرين بسبب الميول والرغبات يكفيك طعام يومك الذى تكسبه بعرق جبينك، ليكن هذا هو مقياس احتياجك.. فإذا دعيت إلى وليمة فلا تأكل منها إلا على قدر حاجتك، ولا تأكل فى يوم طعام أيام لأن البطن لا تدخر **طعاماً بل سبح الله وأشكره**.

عندما تشبع حتى لا تغضب واهب العطية شدد نفسك فى الطهارة حتى تكسب

من ورائها نفعاً . فى كل شىء أشكره وسبحه كفادى نفسك حتى يعطيك حسب نعمته أن تسمع وتعمل مشيئته المقدسة .

وإذا قدمت إليك مشورة الحياة فلا تتغافل عنها . لقد كتبت لك ما كتبت مما أخذته من تعاليم الآخرين ، فإياك أن تحتقر كلماتهم وإذا سبقت فى الرحيل فاذكرنى فى صلاتك فى كل وقت .

صل وتضرع حتى تستمر محبتنا صادقة . أما بالنسبة لنا فيما يختص بهذه الأمور فلنقدم السبح والكرامة للآب والابن والروح القدس الآن وإلى الأبد . آمين .

## صلاة للقديس (١)

إن حبك يا سيدى يسرى فى قلبى كما تسرى النار فى الحطب فتأكل من قلبى كل خبيث وتحرق كل نجس ، إذاً فأعطنى يا سيدى بسماحة وبلا كيل حسب وعدك وكما يليق أن يعطيه إله لإنسان وأب حنون لابن مسكين ، وإن كنت غدرت وخالفت ولا زلت أخالف فأنا ترابى وابن ترابى فارغ فاملأنى كما ملأت أجران الماء من الحياة ، جائع فأشبعنى كما أشبعت خمسة آلاف من خبز البركة ، يا من قبلت فلس الأرملة أقبل شحيح طلبتى .. لأصير بنعمتك هيكلاً لك فتسكن فىَّ وتستريح معى فتعلمنى كيف أرضيك وأبتهج بك ... أستشفع إليك يارب بصلوات الذين أرضوك أن يكون لى أنا الصغير والحقير بينهم نصيباً فى مجد أقدمه لك وتسبيح لا يهدأ ... قد فتح عبدك فمه مع قلبه فاملأها بنعمتك لأن الكل يسبح بمجدك فإن كان الهواء يمرق متباهياً بخفته والطير يخطر متعجباً بنغماته فهذا من قبل مجد حكمتك .. وإن كانت الأرض تزهو بحلة الأزهار الرائعة فهذا لم تنسجه يد بشر ولكنها أصابعك يارب الجمال ! وإن كان البحر يزهو بامتلائه لخير السائرين عليه فليس من كف تصب فيه ولكنها عناية السماء يارب البركة ، وإن كانت الأرض أخرجت زرعاً فما الزرع بمستطيع من ذاته أن يخرج الثمر ولكنه افتقاد خيريتك !

(١) عن كتاب السبع طلبات لمشاهير قديسى الكنيسة . دير السريان ص ١١٢ - ١١٩ .

أمطر يارب على قلبى من بركتك فينمو زرع الفضيلة فى قلبى وتعهده بالمراحم ليخرج ثمر البر برحمتك ، وكما تزدان أعشاب الحقل بجمال الزهر زين نفسى الموحشة بأزهار الطاعة والتواضع والمحبة والصبر .

وماذا أقول وقد أعجزنى القول ! ها هى صلاتى ضعيفة أقدمها ومن أمامى وخلفى أجر ثقل آثامى .

الويل لى أنا الخاطىء الكسلان المتوانى الذى وصلت إلى مثل هذه السيرة الردية . ها أخوانى قد تزينوا بالفضائل و يتقون الله بالحقيقة وأنا عارى منها . أندم الأمس على ما فرط منى وأكمل اليوم أقبح منها . وهب لى الرب حياة وعافية ولكن بدل أن أجده بهما أخطىء إليه ... فحتى متى أتوانى وإلى متى أتهاون وكيف لا أعرف ضعفى وإلى متى أقاوم الذى خلقنى . أطعت الشيطان حتى صرت عدو الملائكة وعاراً عندهم ...

إلى من أشتكى من ذا الذى يرضى ليبكى علىّ أنا الشقى . عدوى أوقفنى مجرداً بسبب توانىّ وكسلى ملأ بطنى شهوة وسد عينى بالنوم حتى جعلنى غريباً عن القناعة غريباً عن السهر والصلاة ، غرس فى قلبى محبة الفضائل حتى ألهانى عن نفسى فجفت دموعى وغلظ قلبى وتحايل علىّ حتى فصلنى عن الطاعة التى بالمسيح وجعلنى بطالاً حسوداً معاتباً نماماً منافقاً . محباً للغلبة ، أخفى عنى الخشبة الطويلة التى فى عينى وكشف لى عن القذى الصغير الذى فى عيون الناس حتى صرت باراً أمام نفسى وصار كل الناس أمامى مدانين يشير علىّ أن أخفى أفكار قلبى وإذا سقط أخى فى هفوة يحركنى لألومه وأفضحه ويجعلنى أنسى كل شىء وأتذكرها . دربنى كل يوم كيف أكون غضوباً متكبراً شرهاً محباً للذة أشبع وأسكر منها وأنا عالم بنجاستها وعقابها ...

خسارة نفسى جعلها عندى فوائد ، صيرنى مهذاراً ردياً أقرأ وأرتل بلا خشوع أو ورع .. حتى إنى أصلى ولا أعرف ماذا أقول .

مراراً كثرة وُعظت من رجال قديسين وكنت دائماً أخالف مشورتهم ... ويحى متى أرجع إلى ذاتى وعلى من أعتمد بعد أن اسخطت إلهى الذى خلقنى وأنكرت نعمة الذى سترنى برحمته كل يوم ...

أعطنى قوة يارب أهرب بها من عدوى الذى ربطنى بأعماله الردية التى انغرست فى نفسى فإنه كذاب وأبو الكذاب وهو قتال للناس منذ البدء لا يشفق على من يطيعه بل يسرقه إلى الهلاك ...

أسجد الآن بين يديك يارب القوة والمجد معترفاً بخطاياى .. إذ أنك تقبل كل من يقبل إليك لأنك محب للناس .

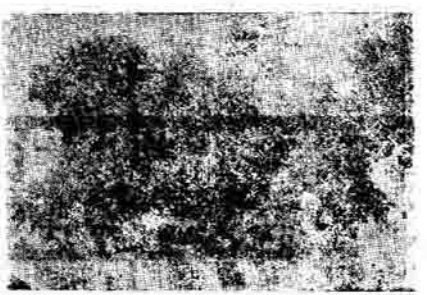

شجرة القديس العظيم مارأفرآم السريانى الكائنة بدير السيدة العذراء - السريان

الفصل السادس :

# الرجـــاء

+ أيها السيد القدوس إن نفسي حزينة وقد تقدمت إليك (١) متضرعة أن تنقذها من العدو، وساجدة لك بتواضع صارخة إليك من أجل ذلك الذى يحزنها، وإذ قد لجأت إليك بشوق تعهدها فإنك إن أعرضت عنها هلكت، إن تفقدتها من أجل رأفاتك فقد ظفرت إن أقبلت إليها خلصت، إن استجبت لها ثبتت فأيقظ غيرتها لأنها خطيبتك كما يقول بولس الرسول «فإنى أغار عليكم غيرة الله لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح» (٢).

أيها السيد أدبنى برأفاتك ولا تسلمنى إلى يد العدو .. إننى لست أعرف آخر سواك. نعمة شفتيك لا تحصى إنها تمنح الشفاء لكافة الذين يقبلون إليك جراحاتى تشفى برأفاتك دائماً ثم يعاودها الألم من أجل تهاونى، أنسى الطبيب وقت صحتى فينسانى وقت مرضى. لا أنسَ إنك تحملتنى من أجل تحننك، فالأم إذا أطرقها طفلها لا تحتمل أن تبتعد عنه إذ تغلب من تحننها وكذا الطير فى كل ساعة يفتقد صغاره بالطعام ويتعب يغذيهم. فإن تكن هذه التى لا نطاق لها لها مثل هذا التحنن فكم بالحرى تحننك.

ها عين الماء تنبع دائماً بلا انقطاع وتمنح المقبلين إليها الماء مجاناً، وبلا حسد وغير محتاجة إلى مديح بنى البشر!. وها عين لجة رأفاتك تبدو للسمائيين والأرضيين مدبراً كل نفس، وأنت غير محتاج إلى مديح، وتمجيد سائر البرايا لأنك تمجد بجوهر عظمتك وجلال مجدك الدائم وصيتك نافعة دائماً لخلاصنا، وبسابق علمك تعرف المقبل إليك فقبل أن يصل إلى الباب تفتح له، قبل أن يجثو ساجداً تقبله، وقبل أن ينبع دموعاً تتقاطر عليه رأفاتك، يعترف عن آثامه فتعطيه الغفران ولا تذكر له ما مضى من توانيه..

تبصر التواضع والبكاء وخشوع القلب فتهتف أخرجوا الحلة الأولى، وألبسوه إياها، إذبحوا العجل المسمن ولتفرح الملائكة أيضاً معنا (٣)..

---

(١) عن ميمر «١٦» المخطوطة ٢٠٠ ميامر / دير السريان.

(٢) (٢كو ١١ : ٢).

(٣) (لو ١٥ : ١٢ - ٣٢) - الابن الضال.

هكذا بنعمتك تقبل الذى يقبل إليك لأنك تتوق أن تبصر الدموع وتعطش إلى معاينة التوبة وتسر بحرص الحريصين أن يتوبوا ..

كما تقدم التلاميذ وهم سائرين فى البحر وأيقظوك وبصوتك المبارك هدأت الرياح .. هكذا استجب لعبراتى فإنها نهاراً وليلاً !

الأطباء تعبوا اثنى عشر عاماً ولم يشفوا نازفة الدم ، أما أنت فمنحتها الشفاء إذ تقدمت ولمست (٤) هدب ثوبك فأرح نفسى الحزينة من تعبير العدو أيها الطبيب المتحنن الذى صنعت الصلح بين السماء والأرض .

أنت غير المائت قدمت لأجلنا بل وصايرت على كل شىء لذا نحن بلا عذر! يا سيدى إننى بنفس حزينة أصرخ وأتضرع إليك من أجل عدوى . فانظر يا سيدى وازجر هؤلاء المجربين فإنهم فى كل ساعة يسرقوننى ولا أعلم ، يذهوننى ولا تخشع ، ويمنعوننى عن الاستغاثة لك لأنهم عرفوا إننى أهتف إليك بدموعى . إن فرح هذا العالم يعطى حزناً أما الحزن والتنهد يسبب سروراً وحياة أبدية !..

أيها السيد إننى كل حين مريض لكن نعمتك تمنحنى الشفاء مجاناً هناك أناس فى مصارعتهم ينهزمون ، وأناس يكللون وأناس بحياة مريرة يتذوقون حلاوة الحياة الأبدية ، وقوم آخرون بحياة الرخاء يكتسبون مرارة العذاب الأبدى .

**الذين يحبون الله بكل قلوبهم محاربته ليست لديهم شيئاً** ، أما الذين يحبون العالم فمحاربته عندهم بصعوبة ولا يحتملونها ..

مغبوطون بالحقيقة هم الذين يحتقرون أشياء العالم ، ومغبوطون هم الذين يبكون نهاراً وليلاً لينجو من الرجز الآتى .

الطوبى للذين يضيعون ذاتهم بإرادتهم فإنهم يرفعون الطوبى للمساكين فإن نعيم الفردوس ينتظرهم ...

الطوبى للذين يتعبون أجسادهم بالأسهار وكثرة النسك فإن ابتهاج الفردوس معد لهم ..

---

(٤) ( مت ٩ : ٢٠ - ٢٢ ) .

الطوبى للذين صاروا فى طاعة هيكلاً للروح القدس ، الطوبى للذين صلبوا ذواتهم ، الطوبى للذين منطقوا أحقاءهم بالحق ولهم مصابيح معدة يتوقعون عريسهم مغبوط المقتنى أعيناً عقلية لمعاينة النصيب الأبدى .

الطوبى لمن تظر إلى تلك الساعة الرهيبة دائماً ، الطوبى لمن صار على الأرض بلا أوجاع ليصير كالملائكة ويتفطن أسرار العلى وينطق بها ويعمل ويتجر فيربح غير مهتم باللذات والشهوات .

ليكن لنا دائماً فكر أقوال الرب والملائكة الرؤساء والشاروبيم والسارافيم والآباء الرسل والشهداء والقديسين وكافة البرايا التى لها ذلك بنعمة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح دائماً .

+ لك أجثو ساجداً أيها الرب يسوع المسيح (*) ابن الله الحى . أعطنى ولكافة الذين يحبونك أن نعاينك بمجد فى ملكك ونرث مع كافة الذين أحبوك وتاقوا إليك أيها السيد الرب .

يا أحبائى إن توانينا واضطجعنا فى هذا الزمان اليسير فلا يكون لنا دالة فى ذلك اليوم إذ ليس لنا عذر عن خطايانا ...

إنه منذ أن نزل إلينا ربنا ومخلصنا يسوع المسيح انتزع عنا كل عذر لأنه وهب لنا حين جاء تلك الحياة الأبدية .

كنا أعداء فصالحنا ، أرضيين فصرنا سمائيين ، مائتين فدعينا غير مائتين بنى الظلمة فصرنا بنى النور ، عبيداً للخطية فحررنا ، مساكين فصرنا أغنياء ، تائهين فأرشدنا ، ممقوتين فأحببنا ، ظالمين فزكينا ، غير مرحومين فرحمنا ، خاطئين فخلصنا ، لقد كنا تراباً ورماداً فصرنا أبناء الله ، عراة فسترنا وصيرنا وارثين معه نظير ابنه فى الميراث الأبدى ..

هذه العطايا والنعم وهبها لنا ربنا فماذا نكافئه عنها يا أحبائى ؟.

هلموا فلنطرح عنا كل اعتناء واهتمام هذا العالم الباطل ونخدمه بحرص ونشاط

(*) من مجمر «٢١» .

فها مجيئه قد حان بالحقيقة تعالوا يا أخوتى لنستيقظ منتظرين ربنا الختن الذى لا يموت.. فها قد انتهى الليل وأقبل النهار فيا بنى النور بادروا إلى النور وأخرجوا إلى استقباله بفرح، أروه فضائلكم قدموا نسككم وإمساككم، أسهاركم، أتعابكم، دموعكم، زهدكم، لا ترقدوا ولا ينظر أحدكم إلى الوراء. بل ليكن نظركم إلى العلى إلى ذلك الجمال السمائى لتتأمل ذلك الفرح الذى لا ينتهى، والذى لا تشبع نفوسكم من معاينة مجده وبهائه وحسنه.

من يجوع فليصبر لأن مائدة الملكوت تنتظره، ومن يعطش فليثبت فها نعيم الفردوس قد أعد له. من يسهر و يصلى و يسبح و يبكى فليتأيد فإن سرور ربه يعزيه، وكل واحد منا فى ذلك اليوم سيرى أية فضيلة قد اقتناها من ههنا أو أى أتعاب صبر عليها..

فإذا أشهر الشهداء تعاذيبهم والنساك الشجعان نسكهم.. فالمضطجعون بماذا يفخرون هل بتواتيهم وهلاكهم؟.

إننى أخشى يا أخوتى أن يتم فينا ذلك القول أن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب و يتكئون مع ابراهيم واسحق و يعقوب فى ملكوت السموات وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية (٦).

فهلمو نسجد ونبكى وننوح أمامه بشدة ليعطينا استنارة النفس فنعرف حيل عدونا، إذ يجعل أمامنا العثرات، واللذات، وطول زمان هذه الحياة الحاضرة، وجزعاً عن النسك، وعجزاً عن الصلوات، وبمقدار ما يحرص على هذا نحرص نحن على التوانى والتهاون. لنعلم أن أيامنا قصرت، والوقت قد قرب، ورب المجد سيجىء فى مجد بهائه وقوات ملكه الرهيبة فيجازى كل واحد كنحو أعماله.. فيا ربى لا تجازينى نظير أعمالى بل خلصنى بنعمتك وترآف علىّ بتحننك فإنك أنت الممجد إلى أبد الدهور آمين.

+ جرحت فلا تيأس لأن المجاهد مراراً كثيرة يسقط و يقوم مكللاً (٧) أنهضى، تشجعى يا نفسى وقولى منذ الآن بدأت لا تلبثى فى الهفوات لئلا تدفعى طعاماً للطيور

(٦) (متى ٨ : ١١ - ١٢).

(٧) عن ميمر (٢٨).

والوحوش، أخضعى متضرعة بخطاياكى إذا أردت الدخول إلى ملك الكل فإنه لا يطلب هدية فهو محب للناس فتقدم بضمير نقى إذ قبل أن تفتح فمك قد تقدم فعرف نتائج قلبك فلا تكتم الألم لأنه طبيب يرثى الكل. شفى المريض المزمن بكلمة إذ قال له قم أحمل سريرك وامش ففى الحال قام ومشى، شفى الأبرص وأقام العازر من الموت بعد أربعة أيام.. وهكذا أعمال الله لا تحصى.

لقد قال إذا كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى الآب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه (٨) فتقدم معترفاً بخطاياك قائلاً: «إننى قد أخطأت فى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً» (٩).

لست مستحقاً أن أسمى اسمك المجيد بشفتى الخاطئة، يا ربى أتضرع إليك أن لا تبتعد عنى إذ لولا يدك تسترنى لكنت هلكت أعضدنى أنا الضال.. ترآف على كالعشار، وكاللص اليمين إذ وهبت له الفردوس يارب إنك قد جئت لا لتدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة (١٠).

أيها الحبيب لتستقم صلاتك كالبخور قدام الله ولتسمع قوله عظيم هو إيمانك.. وليقيمنا معه لأن له المجد والإكرام والسجود الدائم إلى الأبد.

+ قيل أنصتى أيتها السموات فأتكلم ولتسمع الأرض أقوال فمى. يهطل كالمطر تعليمى و يقطر كالندى كلامى.. (١١) فهو الندى الذى يحيى الموتى فالموتى سينهضون والذين فى القبور سيقومون.

إن كافة الأشياء ممكنة لدى الله وليس شىء يصعب عليه. فإن ذكرت السموات وإن قلت الأرض، إن ذكرت لجة البحار وإن قلت الأعماق وإن ذكرت بحاراً

(٨) (لو ١١ : ١٣).

(٩) (لو ١٥ : ٢١).

(١٠) قال أنبا إيليا «أى مكان للخطية حيث تكون التوبة» بستان الرهبان ص ٢٩٩.

(١١) (تث ٣٢ : ١ - ٢).

أخرى ... كلها فى يده وكأنها كلا شىء !.

ويقول إشعياء النبى « من كال بكفه المياه وقاس السموات بالشبر وكال بالكيل تراب الأرض ، ووزن الجبال بالقبان والآكام بالميزان ، من قاس روح الرب ومن مشيره يعلمه » (١٢) .

ويقول حبقوق النبى « سمعت فارتعدت أحشائى . من الصوت رجفت شفتاى » (١٣) .

ويقول بولس الرسول سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت . حينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة . أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية (١٤) » .

من أجل هذا لا يبكى المسكين ولا يستعظم الغنى ، ولا يحزن الضعيف ، ولا يتشامخ القوى ولا يغتم العبد ، ولا يفتخر السيد فإننا من الأرض وفى التراب يسكن جسمنا إلى أن يجىء الرب يحيى أجسامنا المائتة .

الصديقون فليفخروا بالرب ويسروا لأنهم مغبوطون كافة الذين يوجدون حينئذ أهلاً لذلك الصوت المبارك « تعالوا إلىّ يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم » (١٥) .

فاصبروا الآن يا صالحى العدل متحملين الأتعاب من أجل ميراث الله فإن (١٦) تعب هذه الحياة الوقتية يمنحكم دالة جزيلة فى الدهر الآتى ، وضيقة هذا العالم الحاضر تصير لكم لياحاً وهزاء ، والبكاء الآن يسبب لكم فخراً لأنه مغبوطون هم كافة الصابرين له ، فالأبرار يسكنون صهيون ، الذين يخدمونني يبتهجون بالسرور ، أما الأشرار فيصيحون من أجل وجع قلوبهم ويولولون .. الذين يخدمونه يدعوهم باسم جديد

(١٢) ( أش ٤٠ : ١٢ - ١٣ ) .

(١٣) ( حب ٣ : ١٦ ) .

(١٤) ( ١كو ١٥ : ٥٢ - ٥٥ ) .

(١٥) ( مت ٢٥ : ٣٤ ) .

و ينسون حزنهم الأول : ستكون لهم سماء جديدة وأرضاً جديدة . وما لم يخطر على قلبهم من السرور والابتهاج .

فإذا عرف أن لدى عمل حسناً أصرخ إليك أيها الرب الصالح والفادى قائلاً : اغفر لى أنا الخاطىء ، فإن ذلك العشار الذى يفوق حقارتى كان واقفاً على قدميه مطرقاً إلى أسفل و يقرع صدره متضرعاً ...

فأنا بما أنى مفرط فى المفوات أنطرح على وجهى هاتفاً إليك أيها المتحنن والطاهر المرهوب « اللهم اغفر لى أنا الخاطىء » والغير مستحق لئلا تكون لى دينونة .

وإذ أستجرىء أن أسمى بلسانى النجس وشفتى الدنسة اسمك القدوس والفائق السبح إلى الدهور فلتصر لى الاستغاثة يارب باسمك لاستنارة وقداسة الجسد والروح .

البخور إذا ارتفع ملأ البيت نسيماً طيباً فكم أولى ذكرك يارب الذى هو أحلى من العسل والشهد الذى يملأ نفوس الذين يتوقون إليك بإيمان كل قداسة واستنارة .

الذى نزل من حضن الآب وصار لنا طريقاً للخلاص يعلمنا التوبة (١٧) بصوته الإلهى « ما جئت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » وأيضاً « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى » (١٨) .

فإن كنت أنا الذى أقول هذه الأقوال فلا تسمعنى إطلاقاً ، وإن كان الرب نفسه يقولها فلم تتهاون بحياتك متوانياً عنها ؟! إن عرفت أن لذاتك جراحات من الأفكار والأفعال فلم تتوانى عن جراحاتك الخفية ؟ وممن تخاف ؟! أمن الطبيب إنه ليس قاسياً ، ولا عديم الرحمة والتحنن ، إنه لا يستعمل دواء غير مقبول وكاوياً لأنه يداوى بالنصح فقط . إن شئت أن تتقدم إليه فهو مملوء تحنناً جاء لأجلك من حضن الآب ، من أجلك تجسد لتتقدم إليه بلا خوف ، من أجلك تأنس ليشفى جراحاتك الخفية ،

---

(١٦) عن ميمر «٣٩» .

(١٧) عن ميمر ١٠ المخطوطة ٢٠٠ ميامر دير السريان ، يستان الروح جـ١ ص٥١ للقس شنوده السريانى ( مثلث الرحمات المتنيح نيافة الأنبا يؤانس ) .

(١٨) ( مر ٢ : ١٧ ) .

ومحبة جزيلة يدعوك قائلاً : أيها الخاطىء تقدم وابرأ بسهولة ، إطرح عنك ثقل الخطايا . قدم تضرعاً ضع على جراحاتك دموعاً ! لأن هذا الطبيب السماوى الصالح يشفى الجراحات بالدموع والتنهد ! هل تعلم أيها الحبيب فى أية ساعة يأمر الطبيب السماوى فيغلق باب مداواته ؟ أطلب إليك أن تتقدم وتحرص أن تبرأ فإنه يشاء أن يفرح بتوبتك الموكب السماوى .

فى حال قولهم قد هلكت وما تستطيع أن تخلص البتة ، فلنقل لهم نحن (١٩) لنا إله متحنن طويل الأناة **فلا نيأس من خلاصنا** .

لأن الذى قال : لا تصفح للقريب سبع مرات فقط بل سبعين مرة سبع مرات هو أولى بالأكثر أن يصفح الخطايا للمنتظرين خلاصه . فإن هم انهزموا من تلك الجهة يتبادرون من جهة أخرى قائلين لنا : إذ لكم إله متحنن وطويل الأناة وغافر الخطايا فلماذا لا تستمتعون أكثر بلذات العالم ثم تتوبون . فنقول إن كان الكتاب يحذرنا قائلاً : إنها الساعة الأخيرة فإلى أى ساعة ننتظر إن أهملنا خلاصنا فى فعل الشر قدام إلهنا . قاتل الشيطان فتبيد القتال مثل إنسان جالساً تحت شجرة فإذا تجمعت عليه وحوش البرية يقفز إلى أعلى الشجرة فلا تضره ولتكن لك الشجرة هى مخافة الله فتكون النعمة تؤازرك فى سائر طرقك ، وتجعل أعداءك تحت موطىء قدميك .

هكذا يجب على المؤمنين أن يسلكوا فى هذا العمر . فمتى عرض لنا حزن أو ضيقة فلننتظر راحة من الله ومعونته توافينا لئلا فى كثرة الحزن واليأس فى الخلاص نصير موتى .. وكذلك إن صار لنا فرح فلننتظر الحزن لئلا بالفرح الكثير ننتاسى النوح ... ولنأخذ مثالاً الذين يسيرون فى البحر فإذا أدركتهم شدة الرياح والشتاء الشديد لا ييأسون من خلاصهم . بل يقاومون الأمواج منتظرين الصحو . وإذا كانوا فى الهدوء والسكون يتوقعون تدفق الأمواج فمن هنا يكونون فى يقظة كل حين لئلا تصير الرياح بغتة وتجدهم غير مستعدين فتنقلب السفينة بهم فى البحر .

**هكذا نحن نحتاج أن نرصد الحالين كليهما** لأن المستعد إن وافاه أمر لا يتعجب مما كان ينتظره !

---

(١٩) عن ميمر «٤٢» قول ٩٠ - ٩٢ .

لا يمكنك أن تستمع لكلمات مخلصنا ، بينما أنت لا تعرف نفسك (٢٠) وإذا كنت تحفظ أحكامه بينما ذهنك بعيد عنه فمن الذى يعطيك مكافأتك ؟ من الذى يدخر لك الجزاء ؟ لقد اعتمدت باسمه إذاً إعترف باسمه بالأقانيم الآب والابن والروح القدس هذه الثلاثة أقانيم لتكن خصناً يحميك من التمزق والصداع ، لا ينتابك الشك فى الحق لئلا تهلك بسببه . لقد اعتمدت بالماء ولبست المسيح عندما دعى اسمه عليك ، صرت عرشاً لله ، وختمه على جبهتك . فاحذر لئلا تصير لآخر حتى لا يكون لك سيداً آخر . واحد هو الذى جبلنا برحمته ؛ واحد هو الذى افتدانا على الصليب ، إنه هو الذى يقود حياتنا ، وهو وحده له سلطان على ضعفنا ، وهو وحده يهبنا قيامته . إنه يجازينا حسب أعمالنا فطوبى لمن يعترف به ، و يسمع وصاياه ويحفظها . أنت أيها الإنسان هو ابن الله الذى هو فوق الجميع لاحظ طرقك لئلا تغضب بأفعالك الآب الصالح الحنون .

ما أعظم نعمة الله ! مراحمه لا تقاس (٢١) ! طوبى للإنسان الميت الذى يعلن له الله مراحمه ، وو يل للنفس التى يتكر عليها نعمته .

تهلل يا ابنى بالرجاء ، ازرع بذاراً صالحة ولا تفشل (غل ٦ : ٩) فإن الزارع يبذر على رجاء ، والتاجر يسافر على رجاء ، كذلك أنت يا من تحب الصلاح توقع المكافأة بالرجاء . لا تبدأ فى عمل ما بدون صلاة . واختم كل أعمالك بعلامة الصليب الحى ، لا تغادر بيتك قبل أن ترسم علامة الصليب ، أيضاً فى الطعام أو الشراب ، فى النوم أو اليقظة ، فى البيت أو فى الطريق ، كذلك فى وقت الراحة لا تهمل هذه العلامة لأنه لا يوجد حارساً لك مثلها ، ليكن الصليب سوراً لك فى مقدمة كل أعمالك ، علمها لأ بنائك وليتفذوها باهتمام .

إلتجىء إلى الله فهو ملجأ لك ، ولا يستحيل أو يتغير ، اضبط الضحك بالآلام واضبط محبة اللهو بالحزن . الرجاء هو عزاء الآلام ، والصبر هو عزاء الحزن ، آمن

---

(٢٠) مترجم عن :

The Writings of Nicene and post Nicience fathers vol . 13 - Page 330

(٢١) مترجم عن المرجع السابق - page «335» .

وصدق أيها العاقل لأن الله هو الذى يقودك . **وإذا كانت عنايته لا تتخل عنك فلا يوجد شيء يمكنه أن يضرك** وإذا كان خلاص الإنسان يمكن أن يتم على يد إنسان ونجاة الحقير تتم على يد العظيم فكم بالأولى الالتجاء إلى الله الذى يحفظ المؤمن ، لا تخف بسبب الأعداء الذين يهاجمونك بالعنف لأن عين الله الساهرة سوف تحفظ روحك وتتحول الأمور الضارة لصالحك ، لن يرغمك أحد على طريق إلا إذا كان بحرينك ، **لا يقع أحد فى تجربة تفوق حدود طاقته** ، لا شر فى التأديب إذا كان هدفه الحرية ، فالأحداث لا تناقض الحرية ، ولكن اتجاهها يتغير لصالح المؤمن .

## صلاة للقديس (٢٢)

أيها المخلص أعطنى شوقاً إلى خلاصك يارب فإنى مثل أرض ظامئة ومنتظرة المطر لأصنع قبل الموت ثمراً لئلا أحزى يوم المجازاة .

أرحنا كلنا أنت أيها الصالح ، تشكرك لصلاحك لأننا كلنا غير مستحقين فأهلنا أن نخدم اسمك القدوس وأن نبسط أيدينا كلنا إليك يا أبا الكل ونجنا من كل فعل شيطانى .

امنحنا أن نوجد كأرض جيدة وصالحة لكيما إذا قبلنا بذارك نثمر مائة وستين وثلاثين ، أعطنا يارب أن نتجر بالفضة التى أعطيتنا إياها ، لكيما نقرب لك ثمر العدل فنؤهل لميراث العشر مدن...

امنحنا يارب أن نسهر ونستيقظ لاستقبالك ممنطقين أذهاننا ماسكين مصابيح أنفسنا العقلية متقدة ، منتظرين إياك يا إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح . أهلنا يارب للاختطاف مع الصديقين حيث يستقبلونك يا سيد الكل فى السحب .. لئلا نوجد فى تلك الدينونة المرة... بدد يارب قبل الوفاة وثق خطايانا لئلا تصير لنا عائقاً فى تلك الساعة . وتقودنا إلى النار التى لا تطفأ .

---

(٢٢) عن ميمر «٣٩» .

نعمتك يارب فلتصر لنا قوة ولتأخذنا فى السحب مع الصديقين إلى لقائك يا ملك الكل، ليستقبلنا الملائكة القديسون بفرح وبوجه مستبشر وتسجد كما يجب أمام عرش مجدك ونعاين المجد الذى لا يوصف ... ولنهتف: المجد لمن أعطى المائتين عدم الموت، المجد لمن نجانا من فم الأسد، والعدو المفسد، وأعدنا لملكه السمائى حيث كافة الخيرات والنور الذى لا يعقبه ليل، حيث السرور الذى لا يشوبه حزن ولا ألم لأنه بالحقيقة يهرب الوجع والغم والتنهد لوقته ونكون مع الرب دائماً. هذه هى أصوات الصديقين والقديسين والنساك المختارين جماعة الذين بتوبتهم أرضوا الإله الرحوم عند مجيئه.

يا أحبائى فلنتيقن ولنصغ إلى ذاتنا لكى نسكن مع الصديقين ويفرح قلبنا ولا ينزع أحد سرورنا مسبحين ومباركين وساجدين للثالوث الأقدس المساوى فى جوهره إلى أبد الدهور آمين.

الفصل السابع :

# توبة المرأة الخاطئة

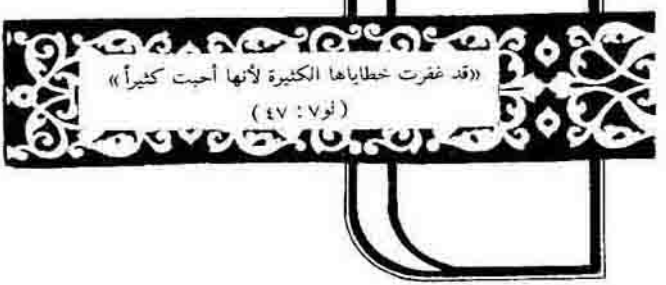

اسمعوا وتعزوا أيها الأحباء عندما ترون رحمة الله للمرأة (١) الخاطئة إذ غفر لها خطاياها ، نعم لقد وقف إلى جوارها عندما كانت هدفاً للانتقاد .. بالطين فتح عينى الأعمى حتى نظرت عيناه النور (يو٩) ، وأعطى الشفاء للمفلوج فقام ومشى وحمل فراشه (مت٩ : ٢) أما نحن فقد أعطانا اللآلىء أى جسده ودمه الأقدسين . لقد أحضر أدويته خفية ومعها يعطى الشفاء علانية وكان يتجول فى أرض اليهودية كالطبيب يحمل أدويته معه ، دعاه سمعان إلى وليمة لكى يأكل خبزاً فى بيته (لو٧) فسرت المرأة الخاطئة عندما سمعت أنه كان جالساً يأكل فى بيت سمعان ، وتجمعت أفكارها كالبحر وهاجت مشاعر المحبة فى قلبها كالأمواج . لقد رأت بحر النعمة وكيف انحصر فى مكان واحد وقررت أن تذهب وتغرق كل شرورها فى أمواجه !

لقد قيدت قلبها لأنه أخطأ ، قيدته بسلاسل ودموع الألم ، وبدأت تبكى فى داخلها : ماذا استفدت من الزنا وماذا أفادتنى النجاسة ، لقد أفسدت أصحاب العفة بلا خجل ، أفسدت اليتيم ، وبلا خوف سلبت التاجر تجارته وشهواتى لم تشبع كنت كالقوس فى الحرب وقتلت أبراراً وأشراراً ، كنت كعاصفة فى البحر وأغرقت سفن الكثيرين . لماذا لم أكسب رجلاً واحداً ربما استطاع أن يقومنى ويخلصنى من الدنس . رجلاً واحداً هو من الله أما الكثيرون فمن الشيطان !

رددت هذه الأقوال فى داخلها أولاً ثم بدأت تنفذها علانية فاغتسلت وأزالت من عينيها الأصباغ التى أعمتها ، وأنهمرت الدموع فوق ألوان عينيها ، خلعت من يديها زينة شبابها ، ونزعت عن جسدها ثياب الخطيئة ووضعت فى نفسها أن ترتدى رداء المصالحة . خرجت وألقت عن نفسها حذاء النجاسة ووجهت خطواتها لتسير فى طريق النسر السماوى ، ووضعت ذهبها فى راحة يدها ورفعته فى وجه السماء وبدأت تبكى فى الخفاء لمن يسمع جهاراً ! هذا يارب ما ربحته من شرورى وبه سوف أشترى خلاص نفسى ، ما جمعته من الأ يتام سوف أكسب به رب الأ يتام !.

كانت تلهج بهذه الأقوال ثم بدأت العمل جهراً . حملت الذهب فى كفها وحملت

(١) مترجمة عن :

The Writing of Nicene and post Nicene fathers vol 13 page 336 - 341

الصندوق الأبنوس فى يديها ثم ذهبت مسرعة فى حزن إلى بائع العطور. رآها التاجر فتعجب ثم بدأ يسائلها قائلاً أول ما بدأ حديثه : أما يكفيكى أيتها الزانية أنك أفسدتى مدينتنا ؟ ماذا تقصدين بهذا الشكل الجديد الذى تظهرين به لعشاقك. لقد تركتى أسلوب الإغراء ولبستى زى الاتضاع ! حتى الآن كلما كنتى تحضرين إلىّ كان مظهرك مختلفاً عن مظهر اليوم. كنتى تلبسين أفخر الثياب ولا تحضرين إلا القليل من الذهب ، كنتِ تطلبين أفخر الأطياب حتى تجعلى نجاستك جذابة للآخرين ، ولكن ماذا حدث اليوم لأن رداءك بسيط وأحضرتِ معك ذهباً كثيراً. أنا لست أفهم سر هذا التغير؟! ولماذا هذا الشكل الجديد فإما أن ترتدى من الملابس ما يتفق مع قدرتكِ وإما أن تشترى من العطور ما يتناسب مع ثيابك لأن هذا العطر لا يتناسب ولا يتفق مع هذا الزى هل يمكن أن يكون أحد التجار لاقاكِ وأحضر لكِ ثروة عظيمة ثم وجدتِ أنه لا يحب فيكِ زى الدنس ، ومن أجل هذا تركتِ طريقك الشرير ولبستِ رداء الوداعة ، وهكذا بوسائلك المختلفة تستولى على ثروة عظيمة أما إذا كان يحب هذا الأسلوب لأنه رجل عفيف إذاً فالويل له ! لقد سقط فى هوة لا قرار لها ، سقط فى هوة تبتلع كل ما عنده من تجارة ولكن أقدم لكِ هذه النصيحة كرجل لا يسعى إلا لمصلحتك. يحسن بكِ أن تصرفى كل عشاقك الذين لم يقدموا لكِ معونة منذ أيام صباكِ ، وبالتالى تأخذين زوجاً واحداً يقوّم اعوجاجك.

قال تاجر العطور أقواله هذه بحكمة للمرأة الزانية ، وبعد أن انتهى من حديثه أجابت المرأة الخاطئة وقالت : لا تعطلنى يا هذا ولا توقفنى بسبب تساؤلاتك لقد طلبت منك عطراً ليس بالمجان ، ولكنى سأدفع قيمته بلا تذمر فإليك هذا الذهب وخذ منه ما شئت وأعطنى الطيب الثمين. خذ هذا الفانى وأعطنى ما يبقى ويدوم وسأذهب إليه إلى ذلك الحى إلى الأبد ! لكى أشترى منه ما لا يفنى !.

أما من كنت تتكلم عن ( التاجر ) فقد قابلنى اليوم رجلاً عنده ثراء واسع قد سلبنى وأنا أيضاً سلبته ، سلبنى كل تعدياتى وخطاياى أما أنا فقد سلبت غناه ، أما ما قلته عن الزوج فقد ربحت لى زوجاً فى السماء حيث يدوم ملكه إلى الأبد و ينحل ملكوته ، وهكذا أخذت الطيب ثم مضت.

ومضت سريعاً ورآها الشيطان فغضب وامتلأ عقله بالحزن. ايتهج مرة ولكنه عاد فحزن عندما أخذت الطيب، سر فى عقله الباطن ولكن إذ كان رداءها بسيطاً كان يخشى من تصرفاتها فرافقها وتابعها كما يقتفى اللص أثر التاجر، أنصت إلى همسات شفتيها لكى يسمع صوت كلماتها، كان يرقب عينيها عن قرب ليرى فى أى اتجاه كانت نظراتها وبينما هو فى الطريق لاحظ اتجاه خطواتها وأراد أن يعلم إلى أين المسير إنه الشيطان ملىء بالدهاء والمكر. فمن كلماتنا يعرف هدفنا ولهذا أوصانا الله ألا نرفع أصواتنا دون قلوبنا عند الصلاة حتى لا يسمع الشيطان هذه الكلمات فيقترب منا ويحاربنا كخصم، ولهذا عندما رأى الشيطان أنه لا يستطيع أن يغير رأيها ظهر فى شكل رجل وجمع حوله جماعة من الشبان يشبهون عشاقها القدامى ثم وجه إليها الحديث: أيتها المرأة وحياتك قولى لى إلى أين أنتِ ذاهبة؟. وما معنى تعجلك لأنك تسرعين خطاكِ أكثر من الأيام الأخرى، ما معنى وداعتك لأنكِ وديعة كالأمة؟ وبدلاً من الثياب المصنوعة من الكتان النقى ما بالك تلبسين ثياباً خشنة، وبدلاً من الحذاء الفاخر فى قدميكِ ها أنتِ تسيرين حافية القدمين. أكشفى لى عن سر أفعالك لأنى لا أستطيع أن أفهم هذا التغيير. هل مات أحد أحبائك وأنتِ فى طريقكِ لكى تدفينه سنذهب معكِ للجنازة وسوف نشاطرك أحزانك.

وبعد أن انتهى من حديثه أجابت المرأة الخاطئة وقالت حسناً قلت إنى سأذهب لأدفن ميتاً أدفن واحداً قد مات بالنسبة لى، خطية أفكارى قد ماتت وها أنذا ذاهبة لكى أدفنها، وأجاب الشيطان على قولها بقوله: يا مرأة سأقول لكِ إلى أين أنتِ ذاهبة، فأنا أول عشاقك ولن أكون على غرارك ولهذا أضع يدى عليكِ وأعطيكِ من جديد ذهباً أكثر مما سبق.

وعادت المرأة تقول لقد تعبت منك يا رجل ولم تعد تربطنى بك رابطة المحبة لقد ربحت لى زوجاً فى السماء، إنه الله فوق الكل وسلطانه يدوم إلى الأبد، وملكه لا ينتهى، إنى أعيد عليك هذه الكلمات وأقولها ثانية ولا أكذب كنت قبلاً خادمة للشيطان منذ نعومة أظفارى حتى اليوم، كنت قنطرة يطأها بقدميه، وحطمت الكثيرين، طلاء العيون أعمى عينىَّ وكنت أنا عمياء وسط الكثيرين ممن أعميتهم، كنت عمياء فلم أرَ أن هناك الواحد الذى يعطى البصر للعميان؛ هاأنذا فى طريقى

لكى أنال النور لعينى و بهذا النور أضىء لكثيرين . كنت مكبلة بالقيود وما كنت أعلم أن هناك ذلك الواحد الذى يحطم الأوثان هانذا فى طريقى لأحطم أوثانى و بالتالى أقضى على حماقات الكثيرين كنت جريحة ولم أكن أعلم أن هناك ذلك الواحد الذى يضمد الجروح وهانذا فى طريقى لكى أضمد هذه الجروح ! هكذا تحدثت الزانية بحكمة إلى الشيطان فأنّ وتوجع وامتلأ قلبه بالحزن ، و بكى وصرخ من أعماقه قائلاً لقد غلبتينى أيتها المرأة ولا أعرف ماذا سأصنع ؟.

ولما أدرك الشيطان أنه عاجز عن تغيير ذهنها أخذ يندب حظه العاثر هكذا قضى على كبريائى وفخر أيامى . كيف يمكننى أن أضع لها معثرة لأنها تصعد فى طريق مرتفع ؟ كيف أصيبها بسهامى بينما حصنها لا يتزعزع ؟ إذاً فلأذهب لها فى حضرة يسوع إنها على وشك الدخول وسوف أحدثه شاكياً هذه المرأة إنها زانية فرعا يرفضها ولا يستقبلها ، وسأقول له أيضاً هذه المرأة التى فى حضرتك هى امرأة نجسة ، وكم من الرجال أسرتهم بشرورها ، إنها فاسدة منذ شبابها . أما أنت يارب فبار كل الناس يجتمعون لكى يعاينوك فإذا رأت البشرية أنك تتحدث إلى زانية فسوف يهرب الجميع من حضرتك ولن يجيئك أحد منهم .

كانت هذه الخواطر التى دارت فى رأسه . ثم تغير تيار الفكر وقال كيف أدخل فى حضرة يسوع لأن الخفيات ظاهرة أمام عينيه ؟ إنه يعرف من أنا و يعرف أن أهدافى ليست صالحة ، وإذا وبختى فقد قضى علىّ ، وضاعت كل حيلى . سأذهب إلى بيت سمعان لأن الخفيات ليست معلومة لديه وسأضع أفكارى فى قلبه وقد أصطاده بهذه الحيلة فسوف أقول له : يا سمعان قل لى هل هذا الرجل الذى يقيم فى بيتك رجل بار أم صديق الأشرار ؟! أنا رجل ثرى وعندى من الممتلكات الكثير وأريد أن أدعوه حتى يأتى و يبارك مقتنياتى .

وأجاب سمعان ورد على الشيطان بهذه الكلمات من اليوم الذى رأيته فيه لأول مرة لم أرَ فيه شراً بل رأيت الهدوء والسلام ، والاتضاع والكياسة . يشفى الأمراض بلا جزاء و يعالج المصابين مجاناً ، يقف بجوار القبر و يدعو الموتى فيقومون . دعا يايرس (مر٥ : ٢٢) ليقيم ابنته و يردها إلى الحياة مؤمناً أنه يستطيع ذلك ، و بينما كان معه

فى الطريق شفى المرأة المريضة التى لمست طرف ردائه ، وللوقت فارقها الألم القاسى والمر الذى كانت تعانى منه . ذهب إلى البرية ورأى الجياع كيف يخورون من المجاعة (متى ١٤ : ١٥) وجعلهم يجلسون على الحشائش وأطعمهم برحته . فى السفينة كان نائماً (مت ١٤ : ٢٤) وهاجت أمواج البحر على التلاميذ فنهض وانتهر الرياح وكان هدوء عظيم . الأرملة التى كانت تتبع ابنها الوحيد فى الطريق إلى القبر (لو٧ : ١١) عزاها ورد إليها ابنها ، وملأ قلبها بالبهجة والفرح .

رجل أعمى كان صوته كفيلاً بأن يجلب له الصفاء (مت ١٢ : ٢٢) .

طهر البرصى بكلمته ورد القوة إلى أطراف المفلوج (مت ٩ : ٢) الرجل الأعمى المتعب المتضايق أعطاه البصر فرأى النور (يو٩ : ١) كذا الإثنين اللذين سعيا إليه وطلبا منه فتح أعينهما فى الحال (مت ٢٠ : ٣٠) وهكذا سمعت أنا عن شهرته العريضة ودعوته لكى يبارك مقتنياتى و يبارك قطعانى .

أجابه الشيطان قائلاً : لا تمدح إنساناً فى بدايته بل تمهل حتى ترى نهايته ، هذا الرجل عاقل ، لا تسر روحه بالخمر ، إذا خرج من بيتك لا يمكن أن يتحدث إلى زانية . إذاً فهو رجل بار وليس صديقاً للأشرار .

هذه الأفكار قدمها الشيطان بمكر إلى سمعان ثم وقف بعيداً يرقب ما يحدث .

وأتت المرأة الخاطئة مثقلة بتعدياتهم وتعلقت بالباب ، وضمت يديها فى ضراعة وتحدثت فى توسل : أيها الابن المبارك الذى نزل إلى الأرض من أجل خلاص الإنسان ، لا تغلق بابك فى وجهى لأنك دعوتنى ، وهانذا قد أتيت . أنا أعلم أنك لم ترفضنى ، ربى افتح لى باب رحمتك حتى أدخل ، ولكى أجد ملجأ فيك من الشرير وكل قواته ! كنت عصفوراً وكان الصقر يطاردنى ولكنى هربت ووجدت لى مأوى فى شبكتك . كنت عجلة صغيرة وأثقل النير ظهرى وسوف ألقى بهمومى إليك . دعنى أضع على كتفى نيرك وأسير مع قطيعك .

كانت الزانية تردد هذه الكلمات وهى باكية عند الباب عندما نظر صاحب الدار إليها ورآها تغيرت .. بدأ يوجه إليها الخطاب فاستهل حديثه قائلاً اذهبى بعيداً أيتها

الزانية لأن صاحب هذا البيت رجل بار وكل رفقائه بلا لوم ألم يكفيكِ أيتها الزانية ما أشعتيه من فساد فى المدينة كلها؟ لقد نجست الأ برياء الأطهار بلا خجل، سلبتى الأ يتام بلا حياء، وقضيتِ على ثروات التجار ولم تخجلى. فمن هذا الرجل لن ينال قلبك شيئاً ومهما ألقيتِ شباكك فلن تحصلى على شىء لأن هذا الرجل بار حقاً وكل الذين يحيطون به بلا لوم.

ولم يكد سمعان يتوقف حتى أجابته المرأة: لاشك أنك حارس الباب وأنت تعرف الكثير من الأسرار، سوف أعرض أمرى فى الوليمة دون أن تلقى عليك تبعة ذلك وإذا سمح لى أن أدخل سوف يأمر فأدخل.

وجرى سمعان وأغلق الباب ثم اقترب ووقف من بعيد وتباطأ ولم يعرض الموضوع فى الوليمة، ولكن العارف بالخفايا أومأ إلى سمعان قائلاً: تعال هنا يا سمعان هل هنا من يقف بالباب؟ أيا كان هذا الإنسان افتح له ودعه يدخل، دعه يأخذ ما يحتاج إليه ثم يمضى. إن كان جائعاً وجوعه للخبز فضى بيتك مائدة الحياة، وإن كان عطشاناً وعطشه إلى الماء فالينبوع المبارك فى بيتك، وإن كان مريضاً يطلب الشفاء فهوذا الطبيب الحقيقى. ترفق بالخطاة واسمح لهم أن يأتوا إلىَّ لأنى من أجلهم وضعت ذاتى. لن أصعد إلى السماء المكان الذى أتيت منه حتى أحمل الخروف الذى ضل من بيت الآب وأرفعه على كتفى، أنقله عالياً إلى السماء!

فأجاب سمعان وقال ليسوع: ربى هذه المرأة التى تقف بالباب زانية نجسة، وليست حرة إنها فاسدة منذ طفولتها وأنت يارب رجل بار والكل مشتاق أن يراك فإذا رأوك تتحدث إلى زانية فسوف يتبدد الناس من حواليك ولن يرحب أحد منهم.

أجاب يسوع: مهما كان هذا الإنسان افتح له ودعه يدخل ولا لوم عليك، ومهما كثرت خطاياه آمرك أن تقبله دون لوم أو توبيخ.

واقترب سمعان من الباب، وفتحه وهو يقول: تعالى أدخلى، وافعلى ما تريدين معه، ذاك الذى يملكك. تقدمت المرأة الخاطئة مثقلة بالخطايا ووقفت عند قدميه، وأمسكت بذراعيها فى ضراعة وهى تقول: صارت عينى مجارى للدموع التى لا تكف عن رى الحقول، واليوم قدمى لذاك الذى يفتش عن الخطاة، هذا الشعر الكثيف فى

خصلاته أرجو ألا يضايقك حين يمسح جسدك المقدس ، هذا الفم الذى قبل الزناة لا ترده عن تقبيل الجسد الذى يرفع الخطايا والآثام .

قالت كلماتها للرب يسوع بينما يتهدج صوتها بالبكاء ، وتخنقه العبرات الغزيرة ، بينما وقف سمعان من على بعد يتأمل و يرقب ما سيفعله بها ، لكن الذى يعرف ما يدور فى السرائر أومأ إلى سمعان وقال له : اسمع ما أقوله لك يا سمعان فيم تفكر بالنسبة لهذه الزانية ، عقلك يتصور ، وروحك تخالجها الأفكار : لقد لقبت هذا الرجل بالبار ولكن ها هى الزانية تقبله ، لقد دعوته لكى يبارك مقتنياتك ولكن ها هى الزانية تعانقه ...

يا سمعان كان لدائن مدينان على الواحد خمسمائة دينار وعلى الآخر خمسون ولما رأى الدائن أن أحداً منهما لا يستطيع أن يوفى ما عليه سامحهما كليهما وتنازل عما له . فمن منهما يقدم له شكراً أكثر؟ هل الذى سامحه بالخمسمائة أم الذى سامحه بالخمسون ؟ فأجاب سمعان وقال الذى سامحه بالأكثر . فأجابه يسوع قائلاً أنت هو المدين بالخمسين وهذه المرأة مدينة بالخمسمائة لقد دخلت بيتك يا سمعان وماء لرجلى لم تعط ولكن هذه المرأة التى تقول عنها أنها زانية وأنها منذ طفولتها ساقطة ودنسة قد غسلت قدمى بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها . فهل يليق بى أن أطردها يا سمعان دون أن تنال الغفران ؟. الحق الحق أقول لك إن اسمها سيكتب فى الإنجيل .. اذهبى يا امرأة مغفورة لكِ خطاياكِ ، وسترت كل آثامك الآن وإلى نهاية العالم .

نسأل الله أن يحسبنا مستحقين لسماع هذه الكلمة : تعالوا أدخلوا يا مباركى أبى ، رثوا الملك المعد لكل الذين يعملون إرادتى ويحفظوا وصاياى ، وليرحمنا فى كل زمان .

الذى له المجد الدائم إلى الأبد آمين .

## صلاة للقديس (١)

لك المجد أيها المحتمل ، لك السبح أيها المتمهل ، لك المجد أيها (١) المتأنى على الناس ، لك السبح أيها المتعطف على البشر ، لك المجد يا من نزلت من السماء لتخلص نفوسنا لك السبح أيها الصالح ، لك المجد أيها المحسن إلى النفوس ، لك السبح أيها المغذى جميع الأمم وكل الطبيعة البشرية بدون عناء ، لك المجد يا من تقيت كافة الطيور والأسماك والوحوش والدواب وكل البرية مثل عصفور. لك السبح أيها المشرق شمسه على الأخيار والأشرار والممطر خيراته على الصالحين والطالحين لأن قدرتك عظيمة ورأفتك سابغة على جميع الممالك. أيها السيد أسجد لك وأباركك وأعترف لك وأسبحك أيها القدوس وأمجدك وأحمدك أيها الرحوم لأنك أنت هو الوحيد سيد الكل البار وحدك ، من أجلى أنا الخاطىء أسلمت ذاتك إلى الموت لتعتق نفسى من قيود الخطية فبماذا أجازيك أيها السيد إلا بشكرى إياك . آمين .

(١) عن ميمر «٢» المخطوطة ٢٠٠ ميامر . دير السريان وكتاب أمام عرش النعمة ص ٧٣ .

الفصل الثامن :

# مخافة الله

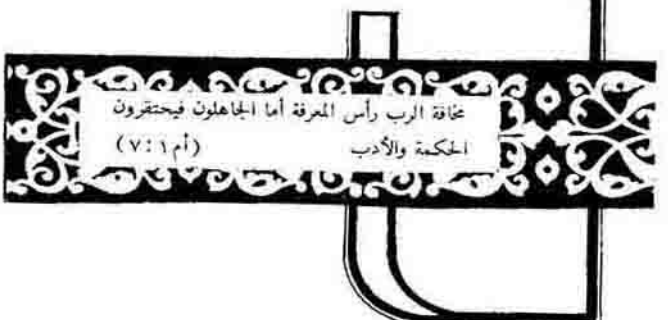

رأس الحكمة مخافة الله ..
من يؤمن بابن الله له حياة دائمة ، ولا تتعرقل خطواته ..

من يؤمن بابن الله تجرى من بطنه أنهار ماء حى ..

+ مخافة الله تكثر المعرفة فى قلب الإنسان والعمل يحقق العلم ..

+ الكور يختبر الفضة والذهب ويصفيهما وتقوى الرب تهذب الإنسان وتنقيها ، الصائغ بالسنديان يصنع سبائك حسنة . كذلك مخافة الله تنظف القلب من كل فكر شرير فلنمط مجداً لمن منحنا مخافته لأنه هو الذى أعطى الإنسان علماً ومعرفة ..

الحكيم يحفظ وصايا المسيح ومن يسلك بها لا يجرى إلى الأبد ، ومن يهملها فهو جاهل ورجاؤه باطل .

+ من يعمل بوصاياه فقد انتقل من الموت إلى الحياة ، ولا يعاين الظلمة إلى الأبد بل ويصير وارثاً للحياة الخالدة ، إنه مغبوط لأنه يصنع مشيئة خالقه ..

+ ليس المكان يجعل الإنسان تاماً لكن الإفراز ..

اتق الرب فتجد نعمة لأن مخافة الله تأتى بنا إلى الفضائل ..

+ **مخافة الرب** ينبوع الحياة ، عقلاً عاقلاً ، صيانة للنفس .. **مخافة الرب** تضىء النفس وتديرها .. **مخافة الرب** تنمى المحبة وتذيب الشر .. **مخافة الرب** تقطع كل شهوة ردية وتبعد الخطيئة .. **مخافة الرب** تملأ النفس من الروح القدس ، وتعطيها لواء ملك السموات ..

ليس أعظم قدراً من خشية الرب ، فالذى يتقى الرب يشبه مدينة حصينة موضوعة فوق الجبل ، ونوراً يرشد الآخرين ..

اتق الرب فينقذك فى اليوم الشرير ..

+ الملك الحكيم يهتم بموانىء البحر ، وذو الفهم لا يتوانى فى حدود أملاكه ، وكلاهما يصلحان للملك لكثرة خبراتهما ويقظتهما ..

+ أصبر أيها الأخ واسمع الكتب الإلهية لكيما تنتفع لأنه كما فى الحر يشتاق

الإنسان إلى كأس ماء بارد هكذا الأقوال الإلهية تكون بمثابة الندى البارد للنفس فإن كنت لا تحتمل سماع الكلام فكم بالحرى العمل بذلك الكلام الإلهى، ومن هنا تدرك أنك متوان !.

+ إذا وقفت للصلاة اعرف بين يدى من أنت ماثلاً ؟! ولتكن نفسك وقلبك كله ناظراً إلى الله.. لأنه إذا أخذ إنسان بيده دراهم ومضى إلى السوق ليبتاع بقراً هل ينشغل بالخنازير ؟. أليس كل فكره فى الأشياء التى جاء لأجلها إلى السوق !.

+ لا تعط الشاب الجموح دالة ولا تطلق شيخاً أن يفعل أفعالاً غير واجبة .

+ المخافة والتواضع والمحبة تعلى رأس الناسك وعند نياحته يضىء مشرقاً .

خشية الرب تجعل الشباب شيوخاً .. مثل صموئيل النبى فإنه أرضى الله وأفاد الناس، أما الذين عدموا التقوى سقطوا..

+ توانٍ قليل ينتج خطيئة عظيمة . و يقظة يسيرة تسترد خسارة كبيرة .

+ بماذا يقوم الشاب طريقه بحفظه إياه أقوالك !

بهذا يجب أن يسلك الذى مع الأخوة أن يقتنى مخافة الله والعفة التى منها تتولد المحبة والفرح والسلام والطاعة وطول الروح والصبر وما يليق بالمسيحيين، و يكون سريعاً إلى الاستماع بطيئاً عند التكلم، مبتعداً عن الغضب لأن غضب الإنسان لا يصنع عدل الله، سامعاً و بصيراً بالأمور النافعة والغير فانية..

+ لا تقل اليوم أخطىء وغداً أتوب ، فاليوم هو لك أما الغد فلست تدرى لمن يكون ؟!.

+ اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم ( يع ٤ : ١٦ ) .

طوبى للنفس التى تسكن فيها خشية الله ، منْ لا يخدم سيد واحد سيخدم كثيرين. ومن لا يخضع لرأس واحد سيخضع لكثيرين، ومن لا يثبت فى صناعة واحدة سيهتم بأعمال كثيرة..

فالويل لمن ليس له الإيمان ، والتقوى ، والمعرفة ..

+ إن لم تزرع فلا تقلع ما هو مغروس ، وإن لم تصمت فلا تضاد الصامتين ، وإن لم تسبح الرب فلا تبطل الذين يسبحون الرب .

الغنى إذا تكلم يصمت له الجميع ، فكم بالحرى الله الذى يخاطبنا فى الكتب المقدسة .. الطوبى للإنسان الذى يبدأ بسيرة حسنة ويكملها بمخافة الله .

+ يوجد أناس كنزوا لهم أموالاً أما أنت فاكنز لك صلوات وصدقات .. البعض يفرح بالأغانى الموسيقية ، أما أنت فافرح بالترنيم والتسبيح للرب . آخرون يسرون بالبطر والسكر ، أما أنت فتمسك بالنسك والقداسة . وآخرون يبتهجون باللذات ، أما أنت فافرح إذا صنعت مشيئة الرب . آخرون يسرون بالمجد الباطل ، أما أنت فابتهج بالرب الذى أعد إكليل المجد للذين يحبونه .

الإنسان المحب للمسيح هو برج مصون والكامل المحبة هو سور ضخم لا ينقب ..

+ أحبب مخافة الله من كل نفسك وهى تشفى جراحاتك .. لأنه بقدر ما تحب نفسك تقوى الله لا تقع فى فخ العدو ، بل تكون من النسر الطائر إلى العلو ..

+ لنهتم بوقت الانتقال ونمقت الأمور الأرضية التى لا تنفعنا بشىء وقتئذ إذ لا يسافر الأب مع ابنه أو الأم مع ابنتها .. بل عمل كل واحد . فلنقدم أعمالاً صالحة حتى يستقبلونا بها فى مدينة القديسين ..

+ لا تؤجل التوبة ولا تصادق من ليس له خشية الله ، ولا تتسايق مع المتهاونين بخلاصهم فالمعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة ، ويقول أيضاً يا ابنى احفظ مشورتى ولا تتركها .

الجهاد قليل والأجر لا يوصف .. فلنكثر فى عمل الرب بكل قلبنا وقوتنا مادام لنا وقت .. فالطوبى للإنسان المتقى الرب إذ سيأخذ الإكليل الذى أعده للذين يحبونه ..

+ مغبوط الإنسان الذى لديه مخافة الله فإنه يطوب من الروح القدس جهاراً ، والمتقى الرب بالحقيقة يكون بعيداً عن جميع حيل العدو ، بل ويغلب بسهولة كافة مكائده الرديئة لأنه لا يكون أسيراً لشىء ما .

من أجل التقوى لا يقبل لذة الجسد وشهواته لأنه ينتظر سيده لئلا يأتى بغتة فيجده

متوانياً بل يسهر منتظراً مجيئه !.

الخائف الله لا يكون بطالاً بل يهتم كل حين بروحانيته و يكون مستعداً لكى يمدحه الرب عند مجيئه.

أما غير الخائف الله فيكون سريع الاصطياد لمكائد العدو.. يتوانى فى أعماله يكنز لشهواته ولذاته، يسر بالراحة، يرفض الاتضاع و يصافح الكبرياء فعندما يجىء سيده يرسله إلى الظلمة الأبدية..

+ لتكن خشية الله فى قلبك أيها الحبيب مثل السلاح بيد الجندى.

## صلاة للقديس

لك السبح أيها المشرق شمسه على الأخيار والأشرار والممطر خيراته على الصالحين والأشرار لأن قدرتك عظيمة ورأفتك سابغة على جميع المالك.

أيها السيد أسجد لك وأباركك وأعترف لك وأسبحك أيها القدوس وأمجدك وأشكرك أيها الرحوم، لأنك أنت هو سيد الكل البار وحدك.

من أجلى أنا الخاطىء أسلمت ذاتك للموت لتعتق نفسى من قيود الخطية.. لك المجد المتعطف والطويل الأناة، لك المجد يا محب البشر!

لك السبح أيها الجالس عن يمين الآب والذى ستأتى فى مجد أبيك وملائكتك المقدسين لتدين كل إنسان بالعدل.

فى تلك الساعة استرنى تحت أجنحة نعمتك ونج نفسى من العذاب الأبدى السبح لك والشكر لصلاحك. والسجود لتحننك والبركة لرأفتك.

إنه لا يوجد رؤوف ولا رحيم مثلك يا محب البشر..

اللهم ارحمنى كعظيم رحمتك. أتوسل إليك أن تعرض وجهك عن آثامى لأن لك تسبح كافة الأجناد السمائية.

ولك الملك والعزة والسجود إلى الأبد آمين

الفصل التاسع :

# محبة الله

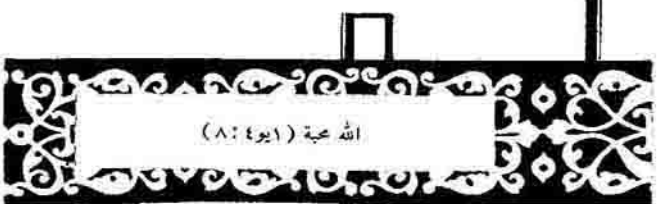

+ حب الله من كل نفسك كما أحبك هو ، صر هيكلاً لله فيسكن فيك الإله العلى فإن النفس الحاوية لله هى فى ذاتها هيكلاً مقدساً لله ..

+ عندما يسكن الرب فى النفس فالملائكة السمائيين يفرحون بها ويحرصون على وقارها لأنها هيكلاً لسيدهم .

+ مغبوط هو الإنسان الذى أحبك من كل قلبه ومقت العالم والأشياء التى فيه ليقتنيك وحدك أيها الإله كنز الحياة .. فمن أحب الله حباً صافياً وذهنه فى العلاء فهناك يستضىء ويشبع من محبة الله ، لأن محبة الله بالحقيقة مملوءة سروراً وحلاوة ومغبوط بالحقيقة من ذاقها .

+ من يستطيع أن يصف حلاوة محبة الله ؟!

فبولس الرسول يقول : لا العلو الذى فوق ولا العمق الذى أسفل ولا هذه الحياة نفسها ولا الموت المنتظر ولا جماعة الملائكة والرؤساء والسلاطين ولا خليقة أخرى تستطيع أن تفصل النفس عن محبة الله .

+ محبة الله فى النفس المشتاقة إليه تجعل حواسها متلألئة الضياء فتجعلها تبغض الأرضيات لتعاين الله الذى أحبته . والشهداء والقديسون الذين ذاقوا محبة الله يعلموننا أنه لا يمكن للسيف ذى الحدين أن يقطعها !

الأمراء قطعوا الشهداء أما محبتهم لله فلن يستطيعوا أن يقطعوها .. محبة الله لا يقطعها سيف ولا تطفئها نار .. حرقوا الأعضاء أما المحبة فلم يفكوها .

+ هذه المحبة أعطاها السيد المسيح لكنيسته لتتزين دائماً بالمحبة لأنها عربون الله للنفس .

+ المحبة عمود قاعدة راسخة فى النفس .

+ هذه المحبة أنزلت الابن الوحيد إلينا ، فقد تأنس الإله فشاهدنا من لا يُرى وبهذه المحبة فُتح باب الفردوس .. بهذه المحبة صارت النفس عروساً للختن الذى لا يموت .. من أجل هذه المحبة تألم الذى لا يتألم ..

لقد كنت غير مائت فحوكمت من أجلكم . كنت بلا خطية فلُطمت لأجلكم ، صُلبت لأجلكم واستُهزىء بى .. احتملت كل الأشياء لأجلكم وأنتم ماذا احتملتم لأجلى ؟!

+ قال الرب : « ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى فداء عن نفسه » .

الإنسان أفضل من كافة العالم وملكه وأمواله .. لأن الله لم يسر بالخليقة أن تشاركه وتتحد بطبيعته لا السماء ولا الشمس ولا القمر ولا النجوم ولا البحر ولا شيئاً آخر إلا بالإنسان الذى أحبه أكثر من جميعها .. لأن هذه الأشياء جميعها تستبدل بالحياة الأبدية .

+ المحبة الحقيقية التى تحب بها الله تقطع كسيف ذى حدين كل محبة أخرى للعالم ولا يستطيع أى شىء من هذه الأرضيات أن يمسك تلك النفس لا شرف ولا شهوة ولا ثروة ولا أى رباط بشرى ... فالنفس التى تحب الله وحده لا تحب معه شيئاً آخر من هذا العالم . فمحبتها كلها متعلقة بمشيئة الله وحده التى تغلب كل محبة أخرى !.

+ الإنسان يحتاج أن يحب الله بكل القلب والطاقة والقوة .. و يصلب نفسه وجسده فى وصاياه المقدسة بلا انقطاع ليستطيع أن ينال الحياة الأبدية ، التى وعد بها محبيه .

+ النفس التى أحبت الله واشتهت أن ترثه تحسب كل هذه الأشياء حقيرة لأن ألف سنة فى هذا العالم تحسب مثل حبة واحدة من كافة رمل البحر بالنسبة للملكة السموات التى لا يعبر عنها ولا توصف ..

+ قيل ماذا يفصلنا عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عطش أم سيف !؟ كلا لا شىء يفصلنا عن محبة المسيح ..

+ إن الرسول يقول من لا يحب أخاه الذى يبصره كيف يحب الله الذى لم يبصره . و يقول أريكم أيضاً طريقاً أفضل جداً ..

إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة وليست لى محبة فقد صرت نحاساً يطن أو

صنجاً يرن . وإن عرفت كافة الأسرار .. وإن كان لى إيمان حتى أنقل الجبال وليس لى محبة فلست شيئاً !

إن أطعمت جميع أموالى وإن أحرقت جسدى وليست لى محبة فلست أنتفع شيئاً !.

المحبة تتأنى وترفق ، المحبة لا تحسد ، ولا تغار ، ولا تفتخر ، ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تفكر بالسوء ولا تسعر بالظلم ، تفرح بالحق تحتمل كل شيء . ترجو كل شيء . تصبر على كل شيء . المحبة لا تسقط أبداً .

أيها الحبيب ها قد سمعت عن قوة المحبة فاقتنها فى كل أعمالك ليكون لك مديحاً من الله .

+ أتشاء أن تحب مخلصنا يسوع المسيح ، امقت المحبة البشرية .. نهم البطن ، السكر ، الكلمات الرديئة ، الجسد والشر ، أمثال هذه التى نهايتها الموت ..

+ كن كثير المحبة للجميع ولا تخجل من نفسك فرب خجل يجلب خطيئة ، وحياء يجلب شرفاً ونعمة . كن مصالحاً للجميع لتؤهل أن تدعى ابناً لله !.

يقول سفر التكوين (١) « فخدمه يعقوب براحيل سبع سنين وكانت عنده كأيام يسيرة من محبته لها » (تك ٢٩ : ٢٠) .

لقد علمنا الكتاب بذلك أن من أحب شيئاً يصير التعب الذى يتعبه من أجله سهلاً عليه ، فإن كانت محبة الله فى قلوبنا فإنها تجعل تعب وصاياه سهلاً لدينا وبثلاثة أشياء تكثر محبة الله فينا :

**أولاً** : مداومة قراءة كتب الله المقدسة ، إذ بها يتخشع القلب دائماً ويخاف الله ويعرف وصاياه المقدسة .

**ثانياً** : يحفظ وصاياه ويعمل بها جميعها .

**ثالثاً** : نقاوة القلب والصلاة المستمرة بلا فتور ..

---

(١) عن تفسير سفر التكوين لمارأفرآم السريانى .

فإذا لازمنا هذه الثلاث تمت فينا محبة الله المستمرة وسهل علينا تعب وصاياه كما أن محبة راحيل جعلت التعب سهلاً على يعقوب، فكانت راحيل مثال المحبة.

من كثرت محبة الله فى قلبه يستلذ العمل بوصاياه ويذوق الحلاوة فى عمله كما يذوق الجسد حلاوة لذاته الجسدانية الفانية..

وكما لم يصل يعقوب إلى راحيل حتى كمل هذين الأسبوعين كذلك لا يصل الإنسان إلى محبة الله وعدم الأوجاع إلاّ بترك كل شر بالتمام، وعمل كل البر بالكمال وبنعمة الروح القدس يصل إلى محبة الله.

## صلاة للقديس

إنك إله متعطف ومحب للبشر. من أجلنا نحن الأرضيين صرت إنساناً لتصيرنا سمائيين. أنت غير المرئى من أجلنا شوهدت ومشيت على الأرض كالبشر. من أجلنا جلدت، وبصق على وجهك.. من أجلنا لطمت، ومن أجلنا صلبت. من أجلنا سقيت خلاً، ومن أجلنا طعنت فبماذا نكافئك بدل هذه. إنك إله صالح جزيل المراحم وينبوع كافة الخيرات. بماذا نكافئك أيها الإله القدوس الصالح الذى أحبنا مجاناً. أنت أيها السيد المهتم بأمرنا منذ القدم بمحبتك الفائقة لنا نحن الخطاة. أنت الإله الرؤوف المتحنن المملوء مراحم. طويل الأناة جزيل الإحسان، كثير الإمهال شفوق، يتأنى، يغفر كل حين خطايانا إن قرعنا بابه.

هلموا نسجد معاً أمام عزته ونسبح عظمته، ونبارك محبته. أيها السيد لقد أرويت عبدك من محبتك كما من شحم ودسم.. أيها السيد من يستطيع أن يشبع منك إذا أحبك!.

فليتقد قلبى بلهيب محبتك كالنار المتقدة ولتحرق أفكارى الشريرة. أعطنى الآن بسخاء وبلا عدد كما يليق بالإله المعطى الإنسان. امتحنى ما يليق لك يا ملك الملوك الصالح.. بل أسألك لا تجازينى حسب أعمال بل خلصنى بنعمتك ولا ترد وجهك عنى لأجل كثرة خطاياى بل كعظيم رحمتك.

فإنك مبارك إلى الأبد آمين.

الفصل العاشر:

# الاتضاع

تعلموا منى فإنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم (مت ١١: ٢٩)

كما ابتداء الصالحات وكمالها هو الاتضاع هكذا ابتداء الشرور ونهايتها هو الكبرياء.

فكل تقشف وكل طاعة ، وكل فقر اختيارى ، وكل علم إن كان ينقصها الاتضاع فهى باطلة..

الحكيم يتكبر بحكمته والقوى بقوته ، والغنى بثروته ، والحسن الجمال بجماله.. وهكذا الشرير لا يفتر عن تجربة الروحانيين فالمطيع يجعله يتعظم بطاعته ، والناسك بنسكه ، والصامت بصمته ، والمتضع باتضاعه ، والعالم بعلمه ، أما المعرفة الحقيقية فهى المقترنة بالاتضاع !.

+ إن يزرع الزوان فى الكل ولذلك رب المجد أعطانا سلاحاً ضده وهو الاتضاع قائلاً «إذا عملتم كل البر فقولوا إننا عبيد بطالون» وبولس الرسول يقول «ليس من يمدح نفسه هو المزكى بل من يمدحه الرب» (رو١٠ : ١٨) فإن كنا نتعب فى الخدمة فلا نتعظم على الصامتين لأن الرب قد مدح مريم أكثر من مرثا لأنها اختارت النصيب الصالح الذى لا ينزع منها..

وإن كنا صامتين يجب ألا نترفع على المتعبين فى الخدمة لأن الرب يعلمنا قائلاً «ما جئت لأخدم بل لأخدم وأبذل نفسى فدية عن كثيرين».

وإن جلسنا فى مكان هادىء ماذا ينفعنا ذلك المكان إن لم نعمل فى اتضاع ! وبولس الرسول يقول «غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى لأنها وقتية أما التى لا ترى فأبدية». لذلك لا تجعل الفضيلة تكون سبباً فى سقطة الكبرياء !.

+ إن كنت غنياً فإنك لم تبلغ غنى ابراهيم أب الآباء الذى جعل ذاته تراباً ورماداً. وإن أوكل إليك الاهتمام بشعب فموسى النبى كان رئيساً لشعوب كثيرة.. بل وصار مناجياً لك ومعايناً مجد الرب ، فلم يترفع قلبه ولم يتوانَ عن التواضع قط إذ شهد عنه الكتاب المقدس قائلاً «وكان موسى وديعاً جداً أكثر من كافة الناس الموجودين على الأرض».

وإن كنت ذا قوة وبأس ولابساً التاج ، فإنك لم تبلغ عظمة داود الملك الذى

وضع ذاته قائلاً «أنا دودة حقيرة ولست إنساناً».

وإن كنت ذا نسك وحكمة فإنك لم تبلغ الثلاثة فتية ودانيال النبى. إذ ابتهلوا بنفس منسحقة وروح متواضعة!

فإن كان الصديقون لهم هذا التواضع، فكم يليق بنا نحن الخطاة؟!

إن من يترفع يكون سالكاً بالجسد كما يقول بولس الرسول إن كنتم تعيشون بالجسد فستموتون وإن كنتم تميتون أعمال الجسد فستحيون.

+ كم من مصاعب احتملها بولس الرسول إذ قال لأهل كورنثوس: فى الأتعاب أكثر، فى الضربات أوفر، فى السجون أكثر، فى الميتات مراراً كثيرة... إلخ (٢كو١١). إنه بعد أتعاب كثيرة ومصاعب وفيرة يقول فى اتضاع «إنى ما أحسب ذاتى قد أخذت شيئاً..» ليبعد عنه أفكار الكبرياء لأن من يتشامخ يشبه من يعير الله بفضائله!.

+ الرب له المجد لم يعلمنا الاتضاع بالأقوال فقط بل بالأعمال إذ ائتزر بمئزر وغسل أرجل تلاميذه وقال لهم «تعلموا منى فإنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم».

+ إن جاءتك أفكار العدو فالأحرى بك أن تقول لذاتك:

من أنت؟ وإلى أى حد وصلت؟ هل أنت إيليا؟! وهل صنعت معجزات مثله؟ إذ بصلاته أغلق السماء فلم تمطر ثلاث سنين وستة أشهر وبصلاته أيضاً أعطت السماء مطراً! وأيضاً أحدر من السماء ثلاث مرات ناراً.. وإن كنت قد اقتنيت الإيمان فأقم بصلاتك الموتى، وفتح أعين العميان، أطرد الشياطين لأنه قد قال «إن من يؤمن بى يعمل الأعمال التى صنعتها أنا وأعظم منها» وإن قال أحد ما إذا لم نعمل تلك المعجزات فهل ليس لنا رجاء فى خلاصنا؟ فنقول لنا رجاء فى الخلاص إن اعترفنا بضعفنا، لأن الضعيف يلتمس رحمة وليس تعظماً!

إن كنا نطلب الرحمة فنحتاج إلى الاتضاع، وبهذا الاتضاع تكون لنا مراحم الله. لأنه قد كتب: «فى تواضعنا ذكرنا الرب وخلصنا من أعدائنا» و «اتضعت

فخلصني » .

بالكبرياء نستند على الرياح وبه نزج بأنفسنا إلى اللجة ، فلا تقبل مرض الكبرياء لئلا يسرقك العدو، ويقظ من تعالى أفكار الاعتداد بالذات لأنه بذلك تربط شبكة على رجليك .

+ بالتواضع اغسل ذهنك ونظفه من السم القاتل مثل الذى يكنس بيته فإنه ينحنى إلى الأرض وينظفها ، فكم بالحرى نحتاج أن ننحنى باهتمام كبير واتضاع أكثر لأجل تنظيف نفسنا !.

+ لا تترك داخلك الأشياء التى يرذلها الله لأن النفس المتواضعة يسكن فيها الآب والابن والروح القدس لأنه مكتوب « أية شركة للبر مع الإثم أو أية خلطة للنور مع الظلمة » .

فلنهرب من الكبرياء التى يبغضها الرب ونحب تواضع العقل الذى به أرضى الرب كافة الصديقين لأن قربان عظيم ، ومجد وكرامة لكل من اقتناه فباستعلاء العقل دين الفريسى ، وبالاتضاع تبرر العشار. ولنتضرع إلى الرب أن يؤهلنا للميراث مع الودعاء الأبرار فى ملكوت السموات..

+ من يشاء أن ينقل صخرة فإنه يضع الحتلة تحتها لا فوقها وحينئذ يدحرجها بسهولة وهذا نموذج الاتضاع !

+ نحن فى جفاف من البر دائماً لعدم الاتضاع والتأديب ، فلا نجيد تحريك المقذاف وندبر !

+ فى الإتضان المتواضع تستريح روح الحكمة !

+ إذا ظهرت فى أعين أخوتك كالذهب النقى فاحتسب نفسك مثل إناء لا يحتاج إليه فتفلت من الكبرياء الممقوتة من الله والناس !

+ لا يكن وجهك فقط مطرقاً إلى الأرض بل وقلبك أيضاً !

+ إن رأيت إنساناً قد نال رتبة عالية على الأرض فلا تعجب من هذا بل تعجب

من الذى يبغض الشرف الأرضى !.

+ المتكبر مثل شجرة مرتفعة وبهية ولا ثمر فيها .. والحسود مثل ثمر بهى من ظاهره وتالف فى داخله !.

## صلاة للقديس

أيها الإله القدوس أسألك تعطفك أن تجعل حارساً لفمى وخاتماً لشفتى لكى لا أسقط فى حفرتهما ..

إلهى وسيدى أنت قلت بكلامك تتبرر وبكلامك تدان فاعطنى أيها المتحنن أن أبصر هفواتى ولا أدين أخى ..

ربى أعطنى قلباً متواضعاً محباً للطاعة وتأديب الأب .

ابعد عنى روح الكبرياء والكسل والانتقاد والمجاجة ..

هبنى روح العفة والشكر والتسامح والتواضع والخضوع والطاعة والصبر والاحتمال بحسب مسرتك .

أيها الإله القدوس أعترف لك وأحدك لأنك لم تعرض عن ابتهالى إذ أنت رجاء اليائسين وعزاء الحزانى .

عندما يخطر بذهنى الخيرات التى أعددتها للصديقين أجد أنى لم أصنع صلاحاً . إن ذلك العشار كان واقفاً قارعاً صدره متضرعاً اللهم اغفر لى أنا الخاطىء .. ربى أعطنى شوقاً لخلاصك .. امنحنى حلة نقية لأستحق أن أتكىء مع مدعوى عرسك ولتسترنى رأفاتك يارب من تلك الدينونة المخيفة ..

امنحنا أن نتجر بالوزنة التى أعطيتنا إياها .. وأن نسهر ونستيقظ لاستقبالك منطقين أذهاننا ماسكين مصابيح أنفسنا العقلية منتظرين إياك يا مخلصنا يسوع المسيح .

الذى لك البركة والسجود إلى الأبد .

الفصل الحادى عشر:

# الجهاد الروحى

« جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعى حفظت
الإيمان وأخيراً قد وضع لى إكليل البر »
( ٢تى ٤ )

إن أراد أحد أن يمضى إلى مدينة مسافتها خمسون غلوة ، فإن سار تسعة وأربعون غلوة وتبقى غلوة واحدة، هل يقول إنه وصل هذه المدينة ؟ لقد ترك أهله ووطنه ولم يصل هذه المدينة !.

وربنا يسوع المسيح يقول من يصير إلى المنتهى فذاك يخلص ، وقال أيضاً من يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء لا يصلح لملكوت السموات .. لأن امرأة لوط حين التفتت إلى الوراء صارت عمود ملح .

وبولس الرسول يقول أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام..

اصبر أيها الحبيب فإن هذا العالم سيمضى وشهوته تزول أما من يصنع مشيئة الله فإنه يثبت إلى الأبد . لأننا غرباء فى هذا العالم .

+ إن الحكمة تقول باطل الأباطيل الكل باطل .. إن أتعابى فى الباطل يرثها بعدى آخرين وأعطى عنها حساباً .. لذلك يجب أن تكون أتعابى للإله الصالح الواهب الحياة ، ومعطى ما لم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه ..

هناك تكون فى حضن ابراهيم مع أليعازر إن صبرت على الأحزان واخترت المسكنة واحتملت التعيير، حيث يهرب الحزن والوجع والتنهد وتعاين الحياة والنور الذى لربنا يسوع المسيح قادى نفوسنا ، وفرح وسرور لا ينزعه أحداً منك إلى الأبد .

+أيها الحبيب إن زهدت العالم وصرت عابداً للرب فتيقظ لأن حيل العدو كثيرة .. إن أتاك مرض جسدى افرح لأن الإكليل قريب ، وإن أتاك الضجر انتظر الصبر من الله ، إن حدثت لك خسارة أرضية تذكر يوم النياح ، وإن وافاك ظلم كن طويل الأناة لأنه قرب من يبرر

إن نلت شتائم واضطهادات فداوم الفكر فى آلام المخلص يسوع المسيح .

+ أيها الحبيب اسمع الرسول يقول « قاوموا إبليس فيهرب منكم .. » وصل عنى أنا الشقى لأن خطاياى قد علت رأسى ، وليرحمك الإله الصالح و يبلغك إلى ملكه ومجده لأنه هو رجاؤنا .

+ إن رأيت تاجراً قل لفكرك يا نفسى إن ذلك الإنسان يصبر على هذه الأتعاب ليجمع الأشياء الوقتية و يشتهى هذه الفانيات .. فهل أنواني فى الأشياء الباقية التى لا تزول ؟!

+ إن أبصرت أناساً متخاصمين يتقاضون قل لفكرك : يا نفسى إن هؤلاء القوم لهم هذا الاهتمام الذى أدى إلى الخصام لأجل أشياء غير نافعة ، وأنا مدين بربوات قناطير أفلا تسجدين لله كما يحق لتنالى الصفح ؟!

+ إن رأيت الذين يبنون البيوت قل لنفسك إن هؤلاء يحرصون لإتمام تلك البيوت ، فلماذا أنا أتهاون بالمساكن السماوية ؟!

إن ذكر تلك الأمور ليس له نهاية .. لكن يجب أن نستبدل ما نبصره فى هذا العالم بأشياء روحانية !.

.. من يعطى لعينى ينبوع دموع .. لأ بكى على خطاياى نهاراً وليلاً ، وأقول للضحك ابتعد عنى ، وللدموع تعالى لأن خطاياى كثيرة جداً أمام الرب وهفواتى ليس لها عدد !.

+ أشير عليك بأن تسلك فضائل الآباء والأخوة الأبرار وكيف كان كل منهم متدرعاً بالسلاح الروحى ، فترى فى واحد إيمانه الذى لا يتزعزع ، وآخر اتكاله على الله ، وآخر فيه المحبة الكاملة لله والقريب ، وآخر يسلك بمخافة الله فى سيرة حية بلا لوم حافظاً نفسه من كل أمر خبيث ، وآخر يجتذح لأجل سيرته الحسنة .

صر مشابهاً للذين صاروا مثل الكواكب ، أحدهم عندما يحارب من العدو بآلام متنوعة فإنه يهرب إلى الله بالصلاة و يلتصق بالتخشع فيأخذ معونة النعمة ، و يغلب تلك الأفكار الشريرة .

وآخر يتوب عن الزلات ببكاء غزير نائحاً على خطاياه معترفاً فى الصلوات والأسهار و يشقى جسده بالصوم والتعب والنوم على الأرض والحزن .

فجاهد محارباً كجندى إلى الموت .. لأنه بجهاد كثير يكون خلاص النفس ..

+ بالمسكنة والفقر والضيقات الكثيرة يستطيع كل أحد أن ينال الخيرات الكثيرة المعدة للصديقين، لأن الباب ضيق والطريق كرب المؤدى إلى الحياة الأبدية.

+ انظر إلى سير القديسين ومائل أمجدهم فى الصلاة، وآخر فى صفاته، وآخر فى ورعه، وآخر فى تواضعه... وهكذا.

إن هؤلاء الكواكب يضيئون أمام عينيك كل يوم فاسلك فى ضيائهم واقتفى آثارهم لتدخل معهم المساكن الأبدية..

منطق حقويك واشعل مصباحك منتظراً ومستعداً لإستقبال سيدك.

+ كن مثل شجرة حسنة الخضرة، حاملة أثمار الفضائل، واحذر من دودة الكبرياء لئلا تفسد تواضعك، ولا يسرق الكذب صدقك، ولا يغش السبح الباطل تخشعك، ولا يسلب الغضب طول أناتك، ولا تفسد الخصومة سلامك، ولا يقطع الحقد المحبة.

لا تشوه اللذة شوقك إلى الله فتخسر نعيم الفردوس.

لا تجنح يميناً أو يساراً لئلا تسقط فى هوة الخطية فتموت، بل جاهد طريق وصايا الله للسعى للملك السمائى، وصلِ عنى.

+ استيقظ أيها الحبيب يقظة جزيلة فى شبابك لتوجد فى أواخرك مؤدباً مختبراً.

+ لا تقل إنى شاب ويليق بى أن أعيش سنيناً أخرى كثيرة فتفرح الآن وتنعم وعند شيخوختك تتوب. أما تعرف أيها الأخ أن العدو يطغيك بهذه الأقوال، لأنه وإن كنت وأنت شاباً فى عنفوان حداثتك تستطيع أن تصبر على الأتعاب وتحتمل كل نسك ولا تتوب، فإن شخت ألا تتعطل بضعف الشيخوخة؟! إن أهملت التوبة فى حداثتك ماذا تعمل؟ فاسمع إذن صوت السيد الحقيقى القائل اسهروا إذن وصلوا لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة!

+ إن العدو لا يكف مقاتلاً لك نهاراً وليلاً فاحذر لئلا يجد عقلك متشاغلاً عن وصايا الله فيزرع زوانه ويجعل الأواخر أشر من الأوائل.

## صلاة للقديس

أيها المتحنن الطويل الروح ، يا من تحب أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون .

الآن قد أمضيت حياتى فى الباطل ، وعشت زمانى فى الأفكار الدنسة ، فأعطنى شفاء لجراحاتى وأيدنى بنعمتك لكى أعمل بنشاط فى كرمك ولو ساعة واحدة كما فعل أصحاب الساعة الحادية عشر .

دبر سفينة حياتى بوصاياك ، وأعطنى فهماً لكى أتاجر بالوزنات مادام لى وقت قبل أن يقال لى هلم أرنى تجارة زمانك ..

إن ساعة الموت تخيفنى أنا الشقى عندما أبصر أعمالى ، وأنظر إلى توانىّ .. ويلى أنا الشقى وماذا سيكون جوابى أمام الجالس للحكم والدينونة ؟!

فالآن يا نفسى الشقية ارجعى إلى ذاتك قبل أن تأتى هذه الساعة المخيفة . جاهدى على الدوام .. قدمى له ذبائح الشكر والتسبيح وكل عمل يرضيه ، فإذا حان وقت الفراق تكونى متسربلة بحلة الطهارة ، ومتمنطقة بالنشاط لتنظريه بفرح عظيم ..

يا نفسى تحرري من الآن من هذا العالم ومصائبه واثبتى كل حين فى الله ، اصنعى ما يرضيه واسلكى فى طريقه ، لأنكِ إذا أحببتِ الله من كل قوتك لا ترهبى ساعة الموت بل تفرحين به إذ تفارقى هذا الجسد .

خلصنى ياربى يسوع وأعطنى ألا يكون فى قلبى وذهنى سوى أن أكمل مشيئتك .. أهلنى أن أصير مشاركاً للقديسين الذين أرضوك .

لأن لك المجد والبركة والقوة إلى أبد الدهور آمين .

الفصل الثانى عشر:

# الصبر والاحتمال

« الذى يصبر إلى المنتهى فذاك يخلص »

( مت ٢٤ : ١٣ )

+ ليس للصبر شيء يعادله إن امتزج بالتواضع !.

موهبة الصبر يعطيها الرب للذين يحبونه ، والذين يتمسكون به بتقدهم الله من أحزان كثيرة..

بغير الصبر لا تبنى برجاً وبدون معرفة لا تقتن فضيلة ..

لا يوقد سراج بدون زيت ، وبدون الإيمان لا يقتنى العزم الصالح ، ومن يرفض الأدب يبغض ذاته ، ومن لا يرفض التوبيخ يحب نفسه !.

من يؤثر أن يصير وارثاً لله بالإيمان .. فليتمسك قبل كل شيء بالصبر وطول الروح ويجب عليه أن يحتمل بشجاعة الضيقات والشدائد إما أمراض وآلام جسدية ، وإما تعييرات من الناس..

+ قال الرب من لايحمل صليبه كل يوم ويتبعنى فلا يستطيع أن يكون لى تلميذاً..

+ إن العدو يلقى فى النفس الضجر وصغر النفس لئلا يكون لها رجاء.. فتأمل كيف أن الآباء رؤساء الآباء والأنبياء والرسل والشهداء عبروا طريق الأحزان فاحتملوا الآلام وتلذذوا بالضيقات ، فنالوا الأكاليل السمائية !.

+ ويقول يشوع بن سيراخ « يا ابنى إن تقدمت لتخدم الرب أعد نفسك للتجارب قوم قلبك واصبر» .

+ جميع الشدائد التى تأتيك اقبلها كالصالحات فبغير علم الله لا يكون لك شيء من هذه جميعها .

+ يقول الرب « طوبى لكم إذا طردوكم وعيروكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين. افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات» .. كما قال « طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات » ( مت ٥ ) .

+ ويقول بولس الرسول « لم تصيكم تجربة إلا بشرية ولكن الله أمين لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا »

(١كو١٠ : ١٣).

وكتب أيضاً « بل نفتخر أيضاً فى الضيقات عالمين أن الضيق ينشىء صبراً والصبر تزكية والتزكية رجاء والرجاء لا يخزى لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » (رو٥ : ٣- ٥).

+ وقال الرب من يصبر إلى المنتهى يخلص .. وبصبركم تقتنون أنفسكم.. فمن يثبت فى الرب لا يخزى.. ومن يترجاه لا يرده.

+ الناس يميزون بعقلهم مقدرة تحمل كل من البغل أو الجمل والفخارى يتقن صنع الأوانى فى أتون النار لكى توافق استعمال الناس فلا يتركها زيادة لئلا تحترق أو يتركها أقل لئلا تتلف فإن كانت هذه الأمور فى الأشياء الفانية، فكم بالحرى معرفة الله التى لا تدرك ولا قياس لها، إذ بحكمته يعلم ما تحتاج إليه كل نفس بشرية من الضيقات والتجارب التى تؤهلها لملك السموات والحياة الأبدية !

+ القنب لا يصير غزلاً دقيقاً إن لم يدق ويمشط كثيراً وبمقدار ما يدق ويمشط يصير نقياً أبيضاً، هكذا النفس التى تحب الله بالمحن والتجارب والصبر على الأحزان تصير فى روحانية تؤهلها لميراث ملكوت السموات..

+ الطفل لا يبنى مدناً ولا يغرس غروساً، هكذا النفس التى تهرب إلى راحة الجسد ولم تختبر بالأحزان والتجارب لا تصلح للملك.

+ إن صغر النفس هو سهم العدو الذى به جرح كثيرين، فلنأخذ الصبر سلاحاً لصغر النفس، ولنردد القول «تشجع وليتأيد قلبك. اصبر للرب» وهذا القول يوافق أن صمنا، إن سهرنا، إن صلينا، إن صنعنا شيئاً آخر..

+ جاهد ما دمت تجد وقتاً لتحصد، ارفض الجسد والسبح الباطل.

+ مغبوط بالحقيقة ذلك الإنسان المقتنى طول الروح.. فهو جزيل العقل، ويكون فى سرور كل حين، فرحاً فى الابتهاج لأنه يتكل على الرب ويترجاه، الطويل الأناة بعيداً عن الغضب، لا يميل إلى السخط سريعاً ولا إلى الشتيمة والأقوال الباطلة، إذا ظلم لا يحزن ولا يقاوم، متيقظاً فى كل وقت، لا يميل إلى الخصومة، يفرح بالأحزان،

يتوق إلى كل عمل صالح ، إذا أمر لا يجاوب يشفى نفسه بطول أناته .

+ مغبوط يا أختى من اقتنى الصبر لأن الصبر فيه رجاء والرجاء لا يخزى .. لأن من يصبر إلى المنتهى فذاك يخلص .

+ الصبر فيه فضائل كثيرة . لأنه بالصبر يلامس كل فضيلة ، يسر بالأحزان يحسن فى الشدائد ، يفرح بالضيقات ، كامل فى المحبة ، يبارك فى الشتائم يسالم فى الخصومات ، شجاع فى السكوت ، لا ينقطع عن الترتيل ، مستعد للأصوام ، صابر فى الصلوات ، حسن الجواب ، يهتم بالسيرة الفاضلة ، يسر بالخدمات ، صالح فى جمع الأخوة ، متهلل القلب ، حريص على الأسهار ، يهتم بالغرباء ، يعتنى بالمرضى .

+ المقتنى الصبر يتزين بكل عمل صالح ويقول « صبرت للرب صبراً فأصغى إلىَّ » .

+ يا حبيبى احمل الضعيف فإن القوى لا يحتاج إليك لأنه قد كتب أن الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى ، فاحملوا ضعف الذين لا قوة لهم .

+ إن العدو يسلح الأخوة المتوانين كثيراً على الحريصين جداً لكن الحريصين يجدون فى المتوانين صناعة مفيدة إذا حملوا أمراضهم من أجل الرب .

## صلاة للقديس

إلهى إننى لا أعرف آخر سواك ، فأنت الذى تمنح الشفاء لكافة الذين يتقدمون إليك .. أنت الذى تتحملنى من أجل تحننك ، لأن الأم فى حنانها لا تحتمل أن تترك طفلها وإن خالفها إذ تحننها يغلب ذلك .. فإن كانت الأم كذلك فكم بالحرى حنانك ؟!.

سيدى إن الطيور تسكب حنانها على فراخها وفى كل ساعة تفتقدها وتغذيها بتعب .. فإن كانت المخلوقات الغير عاقلة لها هذا الحنان فكم بالحرى تحننك الذى هو ربوات أضعاف !!.

أيضاً عين الماء تنبع بلا انقطاع وتمنح ماؤها للمقبلين إليها بلا حسد ودون مديح

من البشرية.. بل ويمدحونك بها لأنه من أجل إحساناتك تمنح تلك العيون المياه الكثيرة.. وكم بالحرى لجة رأفاتك التى لا يمكن حصرها فهى ترى كل السمائيين والأرضيين وأنت غير محتاج لمديح منها لأنك أنت الممجد فى عظمتك وقدرتك الفائقة..

إن محبة نعمتك تعتنق وتقبل كل من يقبل إليك.. إذ تفتح له قبل أن يقبل إليك، وقبل أن يجثو ساجداً تمسكه بيدك، وعندما يقدم التوبة تعطيه غفراناً..

وكما تقدم التلاميذ إليك فى السفينة وأيقظوك، وبصوت فمك المبارك هدأت رياح البحر هكذا استجب توسلاتى إليك..

الأطباء تعبوا اثنى عشر عاماً ولم يستطيعوا أن يشفوا نازفة الدم.. أما أنت فمنحتها الشفاء فأرح نفسى الحزينة من تعييرات العدو.. أيها الطبيب المتحنن اظهر فىَّ حكمتك واشف جراحاتى وأثر فىَّ جمال الفضيلة.

لأن لك المجد والإكرام إلى أبد الآبدين.

الفصل الثالث عشر:

# تعاليم متنوعة

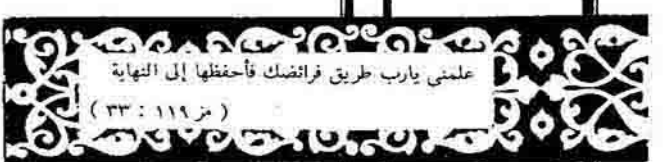

+ اتخذ يا أخي الأدب منذ حداثتك فتجد حكمة وفهماً في أوان الشيب .

+ من يشمت بسقطة الآخرين ، فإنه يسقط مضاعفاً .. ومن يرد إنساناً من طريق ضلاله يخلص .

+ إن رأيت ناسكاً بيده أطعمة فلا تدينه لأنك لست تدري لمن يقدمها ؟!

+ من يضبط عينيه يستر نفسه ، أما طموح الشهوة يضل العقل ..

+ هل يمكن لجزيرة في البحر ألا تلطمها الأمواج ، كذلك نحن لا يمكننا أن نقطع ورود الأفكار لكن يمكننا أن نصدها ..

+ أربعة آلام تقبل الشفاء بصعوبة :

محبة الذات ، محبة الفضة ، السبح الباطل ، السعي للرئاسة .

+ اقلع الألم قبل أن يتأصل فيك ، وقبل أن يغرس جذوره ، اقتلعه من أسفل الحفرة ، فإن أهملته فإنه يسود عليك ..

+ من يصلي بيقظة فإنه يبدد الشياطين ، ومن يصلي متنزهاً فهو مغلوب منهم .

+ عدم الأمانة تنتج تراخي النفس ، وتراخي النفس ينتج التواني والتواني ينتج النسيان ، والنسيان ينتج الغفلة ، والغفلة تنتج اليأس واليأس ينتج الموت !.

+ النفس المتوانية لا تقرأ الكتب بفهم ، أما النفس اليقظة فإنها تقبل الأقوال الإلهية مثل أرض عطشى إلى الماء .

+ لا تجلس خروفاً مع ذئباً ، ولا تدخل إلى بيتك ما يحاربك به العدو ، ولا تتراخ للفكر بل ضع مخافة الله أمام عينيك .

+ البيت المبني على الرمل لا يثبت ، هكذا النسك المختلط بمديح الناس لا يثبت .

+ إذا قمت لتسبح الله ردد قول الله أرتل لإلهي ما دمت موجوداً لئلا تأتيك أفكاراً غريبة تزعج ذهنك ، لكن رتل بالروح ورتل بالذهن .. الدموع في الصلاة موهبة عظيمة

.. وقلب ينشغل عن السمائيات يربطه الشياطين بالأرضيات .. إذا تهاونت بالفانيات تأخذ الباقيات ..

+ الدخان يطرد النحل هكذا الرذيلة تطرد المعرفة ..

+ اجتهد أن تقتنى الإفراز الذى هو كنز الفضائل .. وتكلم بأقوال نافعة ..

+ أتؤثر أن تكون عظيماً كن آخر الكل ، ولتقتنى إسماً صالحاً اجعل أعمالك بوداعة ..

+ لا تصنع بإنسان آخر سوءاً ولا تشارك الذى يصنع الشر فإن الله يفحص القلوب والكلى .. ولا تترفع عليه ولا يكون محتقراً فى عينيك لأنك لا تعلم ماذا يكون الغد ! « ومن يظن أنه قائم فلينظر ألا يسقط » ..

+ « الله يقاوم المستكبرين أما المتواضعين فيعطيهم نعمة » فإذا أبصرت إنساناً هادئاً متواضعاً اعلم أن أصله سيثبت لأن لديه مخافة الله ..

+ من وجد طريق طول الأناة والصبر فقد وجد طريق الحياة ..

+ عصفور يستدعى عصافير معه إلى القفص ، والخاطىء يستدعى من مثله إلى الشرور .. فتمثل بالحارين بالروح السالكين فى الطريق الضيقة لتدرك الحياة الأبدية لأن الطريق الواسعة ترشد سالكيها إلى الهلاك ..

+ من يحسد أخاه على نجاحه يبعد نفسه من الحياة الدائمة ، ومن يشدد أخاه يكون شريكه ..

+ جيد أن تقطع الغضب بالبشاشة أفضل من أن تصير وحشاً مثل النمر .. والإنسان الحكيم يجد لذته فى البكاء أكثر من الضحك ..

+ من يعطى فمى حكمة وشفتى حصناً لثلا أهلك لأنك يارب قلت « بكلامك تتبرر وبكلامك تدان » .. ربى اغفر لى أنا الخاطىء ولا تعطنى طموح عينى وابعد عنى كل شهوة رديئة ..

+ أيها الحبيب لا تصدق الأحلام الخادعة فإن كثيرين أضلتهم وسقطوا.. فأى قدر قد بلغنا حتى نعاين مناظر ملائكة ؟! التواضع نجاح عظيم ولا سقوط فيه..

+ من يرحم المساكين يشبع من الخيرات ، ومن لا يرحم يغلق عليه السماء، من يتكل على الرب ينجو، ومن يتكل على إنسان لا يعاين الخيرات !.

+ الأطعمة الكثيرة تطغى على الذهن والنسك الجيد ينقيه ..

+ من يحفظ الوصايا يحب نفسه ومن يتهاون بها يخسر نفسه !.

+ المتكبر والغير مطيع يرى أياماً مرة ، والمتواضع القلب الصبور يسر بالرب كل حين فالإنسان الصابر والمتواضع لا يوجد مثل جماله !.

+ لا تكن يدك ممدودة للأخذ مقبوضة عن العطاء ..

+ العاقل يحصن ذاته بالمحبة ، والجاهل يكنز البغضة ، لا تحتقر أحداً لأنه كتب أن أمراء كثيرين قد افتقروا، بينما كثيرون لم يفكروا فى ذلك وليسوا التاج !.

+ الحكمة الحقيقية هى أن تعمل كل شيء حسب مشيئة الله .

+ الحسن الخلق كثير الأصدقاء ، والمحب الرب يحفظ وصاياه .

+ أكرم الشيوخ من أجل الرب ، وشارك الشاب المتألم فتأخذ أجرك من الرب ..

+ اهرب من الخطية لئلا تحرق جسدك مع نفسك فى النار التى لا تطفأ..

+ الإيمان يلد الطهارة ، والاتضاع والطاعة يلدا طول الأناة والنسك، أما التوبة فتلد الدموع، والمحبة تلد الصبر والرجاء..

+ اختر التأديب فتجده فى شيخوختك ، وازرع حقلك فى أيام شبابك لئلا ينبت فيه شوكاً.. وإذا أعطيت موهبة فلا تعلو بذهنك لأنه ليس فيك شيئاً جيداً ما لم تأخذه من الله..

+ الرجل العاقل يحفظ وصايا الله ، ومن يحفظها يقتنى فردوس النعيم، اسم صالح

أفضل من غنى جزيل، النعمة الصالحة أفضل من الذهب والفضة.. أعط الإنسان اليائس كلام تعزية فيشدد الرب قلبك..

+ أكرم الجميع من أجل الرب ولا تطلب إكراماً فتجد نعمة لدى الرب..

+ لا تعط سمعك للأقوال الرديئة لئلا تدنس فكرك لأنه كما أن الدخان يضر العينين هكذا الكلام الردىء يضر النفس..

+ حيثما لا توجد مخافة الرب لا توجد حكمة وعقل .. وكثير الكلام لا ينجو من خطيئة.. فى أفكار الصديقين حكمة أما المنافقون فتدبيرهم غش، من يقدم الآخرين فى الكرامة يجد إكراماً..

+ البطالة لذيذة لكن نهايتها مرة، وإن عملت فإنك تتعب لكن أخيراً تفرح.

+ من يتكل على الغنى يسقط، ومن يعضد الصديقين يتلألأ مضيئاً، من يفرق ماله بجهل و يبدده يصير محتاجاً، ومن يفرقه بإيمان فى الرب لا يخذل إلى الأبد، لأنه كتب فرق أعطى المساكين و بره يبقى إلى الأبد.

+ اسكب دموعاً قدام الرب، ولا يسكن فى قلبك حقداً فتكون صلاتك مثل بخور يصعد أمامه.

+ النهم البطن يهتم بأشياء كثيرة أما الناسك فيضاهى غزالاً فى غابة.

+ إن شئت ألا تخطىء احفظ مخافة الله، وتفكر أن الخطيئة مثل الجبال العالية أو لجة البحر المرعبة، أو مثل لهيب النار الآكلة، وأن العدو يحرص أن يصغرها فى عينيه إلى أن تسقط فيها.. قبل أن تبدأ أمراً ما تفطن فى نهايته.. فليس صعباً أن يعرض شيئاً رديئاً، لكن الردىء هو الاستمرار فى الشر..

+ إذا حدثت مخاصمة بين أخين فإن تاب الأول يأخذ إكليل الغلبة، و يكلل الثانى إن قبل التوبة..

+ الذى يرضى الناس يحرص أن يرضى كثيرين ليس من أجل الرب أما المتقى الرب فيحفظ وصاياه، و يسلك فى نورها.

+ الغضب للإنسان حفرة، ومن يغلب الغضب يعبر تلك الحفرة قفزاً.

+ من يحب الأدب يحب الحياة ، وكما أن الجليد والثلج ينقصان خضرة النبات هكذا الخطيئة تنقص القلب . أيضاً كما يزهو النبات عند سقوط الأمطار هكذا القلب يزهو بالأعمال الصالحة ..

+ الغضوب وكثير الصياح يكون كثير الخطأ ، أما الصامت فهو حكيم الغضب هو عدم الحياء والخجل ، و يعقبه الندم والحزن .

+ أيها الحبيب لا تفحص كثيراً كيف هذا أو ذاك ، بل آمن بالرب وصدق أقواله وهو يضيء ذهنك ، لأنه بمقدار الإيمان تكون النعمة للنفس ، فالرب صادق فى جميع أقواله ، و بار فى كافة أفعاله ..

+ الفكر المنشغل بالأمور الأرضية غير مختبر للفضيلة ، من يحب السلام يرث السلام ..

+ الإنسان الوديع يقمع الغضب و يرده ، وكما أن البلوط يربى الخنازير هكذا الأفكار الخبيثة تربى الشهوات الرديئة ، الغضب والحقد يشابه سم الأفاعى لأنه يغير الصورة ، ويخبط العقل ، و يضعف القوة ، أما المحبة والوداعة فإنها تبطل هذا كله ، وعلاج الحقد هو تذكار مخافة الله و يوم النياح .

أيها الحبيب تذكر نهايتك وكف عن الحقد ، وتذكر الموت لأنه بعد قليل ستدخل إلى القبر فهذا العمل الردىء ماذا ينفعك ؟!

+ أيها الحبيب احمل الضعيف فإن القوى لا يحتاج إليك ! وقد كتب أن الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى ..

إن رأيت إنساناً نال رتبة عظيمة على الأرض لا تعجب من هذا . فالأعجب من هذا هو أن يبغض الإنسان المجد الأرضى !

إن ظهرت أمام أخوتك مثل الذهب النقى فتفكر فى ذاتك إنك مثل إناء لا حاجة له لتقلت من الكبرياء المرذول من الله والناس .

+ إن شاهدت إنساناً أخطأ بالأمس فلا تنظر إليه كخاطىء لأنه قد يكون عمل صالحاً بعد ذلك ، وذلك يبعدنا عن الإدانة ..

+ جميع حطب الغابة لا يشبع النار ، وأيضاً الجسد لا يشبع نياحاً .

+ كن مصلحاً للآخرين لتدعى إبناً لله ، محبة مخلصنا يسوع المسيح هى أن ترذل المحبة البشرية التى تحوى نهم البطن ، السكر ، الحسد ، الشر ، الفجور ، الحزن الجسدى وأمثال هذه التى نهايتها الموت ..

+ صادق إنساناً يخاف الله ليعلمك مخافة الله ، ولا تصاحب المتهاونين ، وليكن الرب أمامك كل حين لأنه ينجى المتوكلين عليه . الرجل المتسلح مرهوب فى الحرب واللابس الإيمان مرهوب لدى الأعداء الذين لا يرون !

+ النار يشعلها الحطب والغضب يشعله استعلاء الرأى ! فلكى تسكن الغضب اسلك طريق الوداعة والاتضاع ، فى الوديع والمتواضع تسكن روح الحكمة ..

أيها الحبيب لا تشتهى الكرامة فتجلب لذاتك هواناً ، الكرامة الحقيقية هى أن تعمل كل شىء حسب مشيئة الله !

+ الراعى المستيقظ لا يسلم الغنم المؤتمن عليها ، أما النائم فيصير صيداً للوحوش !

+ من لا يعرف الكتب يضل الطريق ، و يضل ضلالاً مضاعفاً من يعرف الكتب و يتهاون بها .

+ من يحب الطهارة والعفة يكون هيكلاً لله ، ذكر الموت والدينونة سيف لشيطان الضجر ، والحب للغرباء حنطة نقية .

+ لوم الإنسان لذاته كل حين يهدم الخطايا ..

+ الضجر وعدم الإيمان ثماره مملوءة من سم الموت ..

+ العاقل يبذل نفسه فى الخدمة من أجل السلام ، والجاهل ينشىء خصومات ..

+ انتهرْ شيطان الزنا كما تطرد الكلب ، ولا تنقاد بالجملة لهذا الفكر ، فإنه بسبب شرارة تتكاثر النار ، كذلك بالفكر الردىء تزداد الشهوات الرديئة ، ابغض ذكرها أكثر من نتانة الحمأة ، لأنه كما يفرح الخنزير بمرغاة الحمأة ، هكذا تفرح الشياطين بالزنا والنجاسة .

فى الطهارة يسكن النور العظيم والفرح والسلام والصبر، وفى الزنا يسكن الضجر والنوم الذى لا يشبع منه والظلمة، والرسول بولس يقول أما الشهوات الشبابية فاهرب منها..

+ لتكن مخافة الله فى قلبك مثل السلاح بيد الجندى ..

+ فى جميع أعمالك تذكر آخرتك فإنك لن تخطىء ..

+ إن كان هناك لؤلؤة ستعطى لنا ألا نسارع لنأخذها؟ فإن كان ذلك الاهتمام لأجل أمور أرضية، فكم بالأولى يليق بنا لأجل فائدتنا الروحية؟!

كن حاراً بالروح مثل الآباء القديسين لتشاركهم ملكوت السموات ..

+ إن كنت تعمل وأتاك روح الزنا ارفع يداك للصلاة وإن ثقل عليك احنى ركبتيك فإن صلاة الإيمان تحارب عنك.

+ لا تنام وأنت حاقداً على أحد لئلا تزعجك الخيالات الشريرة فى الليل.. لا تتعظم على قريبك، نج أخاك من الخطية فينجيك الرب فى يوم الدينونة..

+ ليس ما يعادل الصبر إن مزج بالمحبة !.

أيها الرب أعطنى أن أبصر خطاياى لئلا أدين أخى !.

+ الوداعة للمتقى الرب مثل سلسلة ذهب يلبسها الإنسان، وكما أن العسل حلو فى فم الإنسان كذلك الأقوال الإلهية حلوة لدى النفس التى تخاف الله.

+ إن أكلت خبزاً وشبعت فأعط مجداً للإله الذى أشبعك، وإن صرت إلى أقل من شبعك فأعط مجداً للإله الذى أعطاك قوة، ولا تدين الذين يأكلون..

+ لا تضحك على حزن إنسان، ولا تفرح بالذى عاد خائباً لئلا يسخط الرب عليك ولا تجد ناصراً لك يوم الحزن..

+ لا يوجد أردأ من إنسان له ماء حلواً ولا يسقى نفساً ظامئة، وإنسان جالساً بقرب عين ماء ولا يأخذ منه ما يسكن عطشه، أو من له كتاباً ولا يقرأ فيه.

+ الضجر يأتى بالإنسان إلى صغر النفس ، أو استعلاء الرأى ، ومن يحب الرب ينجو من كلاهما ..

+ الكسلان يحسر أرباحاً كثيرة ، والمستيقظ لا يتهاون بساعة واحدة ..

+ الغير مطيع يذهب إلى مواضع كثيرة ، أما المتواضع القلب فيطيع الرب ، المبتدىء الحكيم يسمع لمن أكثر منه فى الرب ، أما الغير مطيع فيكون فى أتعاب .

+ الماء يطفىء اللهيب المشتعل ، والدموع فى الصلوات تخمد الشهوات الرديئة ، وكما تزدهر خضرة النخيل على الشاطىء هكذا تزدهر صداقة الأخوة فى الرب ..

من يكرم الذى أعظم منه قدراً يفرحه الذين أصغر منه ، وصلاته تستجاب ..

+ إن طلب منك المتوسط فى شىء فلا تتوان .. لأن يوسف توسط لأجل مصر كلها وليس لمنزل واحد ، لذلك رفع الله من شأنه ..

+ الرجل المتدرع مرهوب فى الحرب واللابس الإيمان مرهوب عند الأعداء الذين لا يرون .

+ غذاء النار الحطب وغذاء الغضب استعلاء الرأى .

+ كافة الحطب لا تشبع النار والجسد لا يشبع نياحاً ..

+ نج أخاك من الخطية ينجيك الرب فى يوم الدينونة .

+ لا تسمع أخطاء الغرباء لئلا يصير خطأك مسموعاً لدى الكل .

+ يا أخى امتنع عن الخلاعة والمزاح لئلا تصير عادم الحياء .. فتضيع غنى العفة .

+ من هو أوفر عجزاً ممن هو عطشان وهو جالس بقرب عين الماء ولا يمد يده ليأخذ ما يسكن عطشه ، ومن هو أكثر توان ممن يكون له كتاب يملكه ويتوانى عن القراءة فيه ؟!

+ ضلالة الرجل ألا يعرف الكتب المقدسة ويضل ضلالاً مضاعفاً من يعرفها ويتهاون بها !

+ كل يوم كل الخبز الذى تعطيه لك حكمة الله واشرب من الماء النابع من الصخرة الروحانية لينمو عقلك باستنارة العلم !

+ كيف يمكن أن تمنع الدخان من الدخول إلى باطننا وأبواب حواسنا مفتوحة .. إن كرهت الدخان فاحفظ أبوابك ..

+ إننا نهتم جيداً بالبيت الذى من حجارة وطين وخشب لأجل أجسادنا والمنزل الذى أفضل من ذلك هل نهتم به ؟!

+ أربعة أشياء هى شرف المناقب والخامس صالح لله والناس :

محبة الأخوة بوداعة وعدل ، وأخ يحفظ أخاه بمخافة الله وشباب يخضعون للشيوخ ورئيس يحب أخوته كما يحب ذاته ويهتم بخلاص نفوسهم .

+ مجاوبة الأخ لقريبه بمحبة مثل العسل والشهد فى الفم ، ومثل الماء البارد للعطشان فى وقت الحر .

+ الأفكار الدنسة مثل الأشواك والقرطب فى زرع جيد .

+ الوقيعة تدنس النفس مثل السوس الذى يقرض الثوب .

+ العداوة فى القلب مثل الدودة التى تنخر الخشب .

+ لا تكرم محبة الفضة أكثر من محبة القنية ، ولا تحب والديك أكثر من المسيح ولا تسر بالعالم أكثر من ملك السموات .

+ لا يكن لك حب الشهوات أكثر من محبة الله ، ولا تشوه شوقك إلى الله ولا تخسر بسبب الأطعمة نعيم الفردوس .

+ لا ترفض إنساناً لئلا تسخط خالقه ، ولا تعير أحداً لأنك لا تعلم ماذا يصيبك ، لا تترفع بقلبك لئلا تسقط فتجلب لذاتك هواناً .

+ ملعون هو الحسد لأنه يجعل الأخ يبغض أخاه ، فجعل قايين يقتل أخاه هابيل ، وعيسو رام أن يقتل يعقوب ، وجعل يوسف مبغوضاً من أخوته ، فالحسد يلد البغضة ،

والبغضة تلد القتل ..

+ لا تحضروا أمامى فارغين ( خر ٣٤ ) .

فى الصلاة لا تكن قائماً بجسدك ، وعقلك يفكر فى أمر عالمى فتصير قائماً أمام الله بلا شىء .. ومن يصلى بجسده دون عقله فهو يهين الله !.. لأنه قرب له أدنى ما عنده مثل قايين ، ولم يقرب له أفضل ماله مثل هابيل .

## صلاة للقديس

يا ملك المجد أسجد لك معترفاً بخطاياى فإن رأفتك جزيلة .. يا محب البشر يا من تعرف ضمير التائب قبل أن يفتح فمه وتقبله . بكلمة واحدة تشفى جراحات الذين يطلبونك .

تقول فيصير للوقت إذ بكلمتك نهض المخلع حاملاً سريره . قلت للأبرص أريد فاطهر وللوقت ظهر برصه . دعوت الميت المنتن بعد أربعة أيام من القبر فخرج حياً . قلت للخاطئة مغفورة لك خطاياك فخرجت للوقت مبررة .

أيها الرب المتحنن قد أخطأت فى السماء وقدامك ولست مستحقاً أن أنطق اسمك المجيد بشفتى الخاطئة .

أسألك وأتضرع إليك لا تطرحنى من قدام وجهك تراءف علىَّ كاللص الذى قال لك اذكرنى يارب . إنك قلت ما جئت لأدعو الصديقين بل الخطاة إلى التوبة فامنحنى أنا الخاطىء أن أكمل سيرة حسنة وأقمنى أيها الحاكم العادل على يمينك فى الدينونة .

لأن لك المجد والإكرام إلى أبد الآبدين آمين .

# المـــراجع


١ ـ الكتاب المقدس وقاموس الكتاب المقدس .

٢ ـ الخولاجى المقدس طبعة ١٩٠٢م .

٣ ـ الابصلمودية المقدسة .

٤ ـ السنكسار .

٥ ـ الدفنار .

٦ ـ بستان الرهبان .

٧ ـ السبع طلبات لمشاهير قديسى الكنيسة ـ دير السريان .

٨ ـ حياة الصلاة الأرثوذكسية ـ دير السريان .

٩ ـ سيرة الأنبا يخس كاما وتاريخ دير السريان .

١٠ ـ ميمر الميلاد المجيد للقديس مارأفرآم السريانى ـ دير السريان .

١١ ـ ميمر الميلاد للقديس مارأفرآم السريانى ـ القمص تادرس يعقوب .

١٢ ـ أمام عرش النعمة مجموعة صلوات الآباء ـ مكتبة المحبة .

١٣ ـ بستان الروح جـ ١ ـ مثلث الرحمات نيافة الأنبا يؤانس .

١٤ ـ تاريخ الأدب السريانى ـ د. مراد كامل .

١٥ ـ دموع التوبة ـ الأستاذ يوسف حبيب .

١٦ ـ الحب الرعوى ـ القمص تادرس يعقوب .

١٧ ـ اللآلىء المنثورة لمار أغناطيوس يعقوب الثالث .

١٨ ـ اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية لمار أغناطيوس أفرآم ١٩٤٣ .

١٩ ـ أعجوبة الزمان أو مارأفرآم نبى السريان لمار أغناطيوس يعقوب ١٩٧٤ .

٢٠ ـ باقة من نصائح وعظات مارأفرآم السريانى ـ الأستاذ يوسف حبيب .

٢١ ـ منظومة الفردوس لمارأفرآم السريانى ترجمة للأب روفائيل اللبنانى .

22 - The Nicene and Post Nicene Father vol 13 .

23 - Schaff history christion of church vol . 3 .

## المخطوطات

٢٤ : ٢٦ ـ المخطوطات ٢٠٠ و ٢٠١ و ٣١٨ ميامر دير السريان .

٢٧ ـ المخطوطة ٤٤٥ طقوس ـ دير السريان .

٢٨ ـ المخطوطة ١٨١ نسكيات ـ دير السريان .

## دوريات

٢٩ ـ مجلة الكرازة ١٩٦٦م .

# الفهـــرس

صفحة


إهداء ..... ٧
مقدمة الطبعة الأولى ..... ٧
مقدمة الطبعة الثانية ..... ٩
سيرة القديس مارأفرآم السريانى ..... ١١
أقوال القديس مارأفرآم السريانى ..... ٤١
الفصل الأول : اليقظة وعدم التأجيل ..... ٤٢
الفصل الثانى : محاسبة النفس والاستعداد ..... ٤٧
الفصل الثالث : تذكر الموت والدينونة ..... ٥٦
الفصل الرابع : التخشع والدموع ..... ٧٣
الفصل الخامس : تبكيت الذات ..... ٨٢
الفصل السادس : الرجاء ..... ٩٨
الفصل السابع : توبة المرأة الخاطئة ..... ١١٠
الفصل الثامن : مخافة الله ..... ١١٩
الفصل التاسع : محبة الله ..... ١٢٤
الفصل العاشر : الاتضاع ..... ١٢٩
الفصل الحادى عشر : الجهاد الروحى ..... ١٣٤
الفصل الثانى عشر : الصبر والاحتمال ..... ١٣٩
الفصل الثالث عشر : تعاليم متنوعة ..... ١٤٤

## مشاهير الآباء صدر منها :

١ ـ القديس مارأفرآم السريانى ـ سيرته وأقواله .
٢ ـ القديس برصنوفيوس ـ سيرته وأقواله .
٣ ـ القديس شيشوى ـ سيرته وأقواله .
٤ ـ القديس يوحنا التبايس ـ سيرته وأقواله .
٥ ـ القديس يحنس القصير ـ سيرته وأقواله .
٦ ـ الآباء السواح .
٧ ـ القديس بيمين ـ سيرته وأقواله .
٨ ـ القديس أرسانيوس ـ سيرته وأقواله .
٩ ـ الشهيد إيسيذورس ـ سيرته ومعجزاته .
١٠ ـ الشهيد يوليوس الأقفهصى كاتب سير الشهداء .
١١ ـ القديس أنطونيوس ـ سيرته ـ رسائله ـ أقواله .
١٢ ـ القديس الأنبا أبرآم والأنبا جاورجى .
١٣ ـ أمير الشهداء مارجرجس ـ سيرته ـ معجزاته .
١٤ ـ مدينة الشهداء إسنا .
١٥ ـ القديس صرابامون أبو طرحة ـ تحت الطبع .

## وكتب روحية أخرى :

١ ـ ميامر السيدة العذراء مريم .
٢ ـ ميامر رئيس الملائكة ميخائيل .
٣ ـ الأعياد السيدية الصغرى .
٤ ـ الصليب فى حياتنا .
٥ ـ روحانية آحاد كيهك .
٦ ـ روحانية آحاد الصوم المقدس .
٧ ـ تفسير أناجيل أسبوع الآلام .